١٦٨

ابوالحسن علی الحسنی الندوی

موقف العالم الاسلامی تجاه الحضارة الغربية

ملتزم الطبع و النشر
المجمع الاسلامی العلمی ، ندوة العلماء
لکهنؤ (الهند)

أبو الحسن علي الحسني الندوي

موقف العالم الإسلامي
تجاه
الحضارة الغربية

ملتزم الطبع و النشر
المجمع الاسلامي العلمي ، ندوة العلماء
لكهنؤ (الهند)

١٣٨٢ هـ ——— ١٩٦٣ م

مطبعة ندوة العلماء لكهنؤ الهند

الثمن روبيتان

موقف العالم الإسلامي
تجاه
الحضارة الغربية

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المؤلف

و بعد فهذه رسالة قد بحثت فيها عن موقف العالم الاسلامى تجاه الحضارة الغربية ، و هو موضوع علمى عملى حاسم لا يحتمل أدنى تأجيل ، و من أهم القضايا التى يواجهها العالم الاسلامى والأقطار التى نالت حريتها و استقلا لها ، و تستطيع أن تقرر مصيرها ، و تحدد اتجاهها و موقفها من الحضارة الغربية ، فى حرية وانطلاق ، و على الموقف الذى تختاره هذه الأقطار و المجتمعات الاسلامية تجاه هذه الحضارة يتوقف موقفها من المنهج الاسلامى فى الحياة و الاجتماع و الأخلاق ، و مدى ارتباطها بالدين — بمعنى الكلمة الواسع — و خضوعها للروح الدينية و الفكرة الاسلامية و وفائها لرسالتها و مركزها ، و بالاختصار اتصافها بالأمة الوسط التى أخرجت للناس .

و قد كثر فى هذا الموضوع الافراط و التفريط ، و الإغراق فى التفاؤل و التشاؤم ، و طغت النزعات و الميول ،

و تأثير التربية و الثقافة و البيئات ، غير مؤسس على البحث العلمى المجرد ، والنظرة الاسلامية الخالصة ، و روح الكتاب و السنة ونصوصها ، و سيرة السلف الصالح ، فأحدث ذلك صراعا فكريا هائلا فى العالم الاسلامى ، كانت عاقبته وخيمة للجيل الجديد ، و كان العالم الاسلامى فى غنى عنه ، لو حكم الدين و تحرر من السيطرة الفكرية و الثقافية الأجنبية ، و التقليد الأعمى ، و من رجعية التقدميين ، و حاولت جهدى أن أكون واقعياً أكثر من أن أكون علمياً ، أسترسل فى الخيال والمعانى الشعرية ، و أن يتسم هذا البحث بالاتزان و الاقتصاد و السداد ، و حب الواقع و إن لم يرض كثيراً من العاطفيين و المتطرفين .

و قد استعرضت فى هذا البحث حركات التجديد و التطوير فى العالم الاسلامى فى هذا القرن ، و حركات الدعوة إلى تقليد الحضارة الغربية ، و حركات الانتقاد و الثورة عليها ، و ذكرت مالها و ما عليها ، من غير تحيز إلى فئة أو تقديس لفكرة ، و ترجمت لزعمائها و قادتها ، و قد ثارت حول كثير منهم شائعات و مبالغات ، و اجتهدت أن أبرزهم فى ملامحهم التاريخية الصحيحة و أصورهم تصويراً لا مثلة فيه و لا تجميل ، حتى يستطيع القارئ الكريم أن يحكم عليهم فى ضوء التاريخ ، و يكون رأيه عنهم ، معتمداً فى ذلك على كتاباتهم ، و مرآة أفكارهم ، و سجل وقائعهم و الوثائق التاريخية .

وقد بدأت بهذ الموضوع كمقال أكتبه لمجلة « البعث الاسلامى» ولكنه توسع و انشعب الحديث حتى تكون كتاب صغير أعتقد أنه يجئ فى أوانه ، ويسد عوزاً فى مكتبتنا الاسلامية الفكرية المعاصرة و يعين على التفكير و التخطيط فى المعركة الفكرية الحامية ، التى يخوض فيها العالم الاسلامى اليوم ، و على الله قصد السبيل و منها جائر ؟

المجمع الاسلامى العلمى
ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

أبو الحسن على الحسنى الندوى
٢١ شعبان ١٣٨٢ ﻫ

بسم الله الرحمن الرحيم

العالم الاسلامى أمام

مشكلة الحضارة الغربية : واجه العالم الاسلامى فى منتصف القرن التاسع عشر المسيحى مشكلة فى غاية الدقة و التعقد و الخطورة ، و على الموقف الذى يتخذه تجاه هذه المشكلة الحاسمة يتوقف مستقبله كعالم له شخصيته و كيانه .

هى مشكلة الحضارة الغربية الفتية ، الدافقة بالحياة و النشاط و الطموح و قوة الانتشار و الاستيلاء ، و هى من أقوى الحضارات البشرية التى عرفها التاريخ ، و التى لم تكن إلا مظهراً من مظاهر العوامل التى تكونت و اختمرت قديماً ، و ظهرت فى أوانها .

واجه العالم الاسلامى هذه المشكلة وجها لوجه ، لأنه هو زعيم الرسالة الدينية و الخلقية ، و صاحب الوصاية على المجتمع البشرى ، بعد ما انسحبت الديانات القديمة من معترك الحياة ، و صاحب القوة الكبرى التى يحسب لها الحساب ، وصاحب الدول

الواسعة فى هذا القرن ، فكان تحدى هذه الحضارة المادية الآلية للعالم الاسلامى أعظم من تحديها لأى أمة ، و لأى حضارة ، و لأى مجتمع بطبيعة الحال .

المزيج الغريب : و كانت هذه الحضارة — بمعناها الواسع — مجموع عقائد و مناهج فكرية ، و فلسفات و نظم سياسية و اقتصادية ، و علوم طبعية و عمرانية ، و اجتماعية ، و تجارب خاصة مرت بها الشعوب الأوربية التى تزعمت هذه الحضارة فى رحلتها الطويلة ، و كانت مظهر تقدم العلم البشرى و علوم الطبيعة ، و علم الآلات و العلوم الرياضية ، و مجموع نتائج جهود علماء و باحثين عبر القرون .

فكانت مزيجاً غريباً من أجزاء لايكون الحكم عليها واحداً متشابها ، كانت مزيجاً من السليم و السقيم ، و من الصواب و الخطاء فى النتائج و الاحكام .

و من البديهيات فى العلم التى لاتقبل الجدال و الشك ، و من التخمينات و التحكمات فى الآراء والدعاوى التى تقبل المناقشة الطويلة و الجدال الكثير ، و مما هو خميرة من الاختبارات والبحوث الطويلة و مما هو فج لا يزال فى دور التجربة و الاختبار ، و النشوء و الارتقاء ، و مما لا يختص باقليم أو عنصر من علوم تطبيقية ، و بالعكس مما تجلت فيه الطبيعة الأوربية ، و أثرت فيه البيئة الغربية ، و ولدته حوادث تاريخية خاصة اكتوت بنارها هذه الأمم ، و

مما له صلة قوية عميقة بالدين و العقائد ، و مما لا صلة له بالدين مطلقاً ، و ذلك الذى زاد فى تعقد هذه المشكلة و خطورتها ، و أحرج مركز العالم الاسلامى ، و كان فيه بلاء و محنة لذكاء قادته و زعمائه ، و أصحاب التوجيه فيه .

الموقف الأول السلبى : و كانت هنالك ثلاثة مواقف يستطيع العالم الاسلامى أن يقفها أمام هذه المشكلة الطريفة ، لا أرى لهذه الثلاثة رابعاً .

كان الموقف الأول موقف السلب ، و هو أن يرفض العالم الاسلامى هذه الحضارة و ماجاءت به بتاتا ، و يقف منها موقف المعارض الثائر ، أو موقف المعتزل الحائد ، لا يقتبس منها شيئاً و لا يسمح بدخول علم من العلوم التى كان للأوربيين فيها التفوق و الاختصاص ، و لا ينتفع بتجارب الغرب فى مجالات الطبيعة و الكيمياء و الرياضة و علم ميكانيكا ، و لا يستورد شيئاً من الآلات ، و الصنائع و الأجهزة ، و أدوات الحرب والبضائع و مرافق الحياة .

حكم هـــذا الموقف

طبعياً وشرعياً ونتائجه : و هـــذا لابد ينتج التخلف الشديد عن ركب الحياة ، و يقطع صلة هذا الجزء عن باقى العالم ، و يكون جزيرة منقطعة لا مناعة لها و لا قيمة ، و البر لا مكان فيه للجزر المنقطعـــة الصغيرة ، و لا حرب مع الطبيعـــة البشرية ، و منطق

الحوادث و الحقائق ، و هو — بصرف النظر عن كل هذا — ضيق فى العقل ، و تعطيل للقوى الفطرية ، و جنـــاية على الاسلام ، و سوء تفسير للـــدين الذى يحث على استعمال العقل و التفكير فى الكون (١) و اقتباس الصالح النافع أينما كان مصدره (٢) . و يأمر باعداد القوة الممكنة للدفاع عن الدين و إرهاب العدو (٣) و ينظر إلى الانسان كخليفة الله فى هذه الأرض (٤) سخر له البحار و الأنهـار ، و سخر له الشمس و القمر و سخر له الليل و النهار ، و آتاه من كل ما سأله بلسان المقال أو بلسان الحال (٥) و امتن على عبـاده بانزال الحديد الذى فيه بأس شديد و منـافع للناس (٦) وضرب رسوله المثل لأمته باقتباس بعض أساليب الحرب

---

١ ـ إن فى خلق السموات و الأرض و اختلاف اللـــيل و النهـار لآيات لأولى الألباب ، الذين يذكرون الله قياما و قعوداً و على جنوبهم و يتفكرون فى خلق السموات و الأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ، (آل عمران) ١٩٠ ـ ١٩١ .

٢ ـ الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بهـا

٣ ـ و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله عدوكم الآية (الانفال) ٦٠

٤ ـ إنى جاعل فى الأرض خليفة (البقرة ٣٠)

٥ ـ الله الذى خلق السموت و الأرض ، و أنزل من السماء ماءاً فأخرج به من الثمرات رزقا لكم و سخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره و سخر لكم الانهار و سخر لكم الشمس و القمر دائبين و سخر لكم الليل و النهار ، و آتاكم من كل ما سألتموه ، و إن تعدوا نعمة الله لاتحصوها إن الانسان لظلوم كفار (ابراهيم ٣٢ ـ ٣٣ ـ ٣٤)

٦ ـ و أنزلنـا الحديد فيه بأس شديد و منـافع للناس (الحديد ٢٥)

و الدفع من غير المسلمين و غير العرب ، فحفر الخنـــدق فى الأحزاب كما كان يحفره الفرس ، و على هذه السيرة سار أصحـابه و فقهاء أمته من بعـــده ، فكانوا يسايرون الزمن و يجارون الأمم فى الأساليب الحربية و اتخاذ آلات الحرب و وسائل القوة ، و تعلم العلوم النافعة ، و يسبقونها أحيانا .

و لو حاول قطر من الأقطار أن يطبق عينه و سمعه عن تحدى هذه الحضارة الصارخ أو أن يرفضها رفضاً باتا ، و صمم على أن يعيش فى عزلة عن العالم المعاصر . منطويا على نفسه لما استطاع ذلك، ولواجه ثورات لا آخر لها ، وعصياناو تمرداً فى الداخل، لأنه يعارض الفطرة الانسانيـــة الوثابة الطموح ، الولوع بالجديد الطالبة للزيد ، الطامحة دائماً إلى المجـــد و القوة و التجديد ، و يعارض كذلك السنن الكونية و طبائع الأشياء ، و لو فعل ذلك قطر من الأقطار لتسربت هذه الحضارة إلى أسر هـذا القطر و بيوته ، كما يتسرب المـاء فى القرية أو المدينة إذا أحاط بهـا السيل من كل جانب ، و طغى عليها الفيضان .

مصير الأقطار التى تعيش

فى عزلة عن العالم : لقد كانت الفترة التى عاشت فيها بعض الأقطار الاسلامية بعيدة عن الحضارة الحديثة بخيرها و شرها ، زاهدة فى مرافقها و أساليبها ، منطوية على نفسهـا ، لقد كانت هذه الفترة دائماً قصيرة مضطربة مهددة بالغز و الحضـارى ، و

الثقافى من الخارج ، و موجات هذه المدنيـــة العاتية التى تتغلغل إلى الجذور و الأعماق ، و تذهب بالقيم و المفـاهيم و مبـادئ الأخلاق ، و يشك كل عاقل عرف قوة نفوذ هذه الحضارة وسعته و عرف ضعف هـــذه الأقطار الروحى و المادى و فقدان ما يقاوم هذه الحضارة من إيمان و قوة شخصية وثقة ، يشك فى بقاء هذه الأقطار فى سلخها و حصارها المدنى والثقافى والاجتماعى، و يشك فى طول هذه الفترة ، لأنها — مع وجود هذا الضعف فى الشخصيـــة و الفقر فى القوة المعنوية — غير صالحة للطول و الامتداد ، فضلا عن البقاء و الاستمرار .

زار الأستاذ محمد أسد — الذى عاش فى أوربا و تجول فى العالم الاسلامى — الجزيرة العربية الوادعة الهادئة فى سنة ١٩٣٢ م و هى لا تزال متمسكة بتقاليدها العربية الاسلامية أشبـه بالماضى منها بالحاضر ، لم تجس خلالها الحضارة الغربية ، و لم تقتحم سورها — الرملى — الأساليب الغربية و المصنوعات الحديثة ، فشك فى طول حياة هذه العزلة ، و البعد عن تأثير الحضارة الغربيـة التى طوقت الجزيرة ، فقال :

« و عند ما وصلت بتفـكيرى إلى ذلك الحد ، سألت نفسى فجأة ، إلى متى يستطيع زيد (١) و قوم زيد (العرب) أن

---

١ ـ البدوى العربى الذى كان مرافق محمد أسد فى مغامراته و رحلاته فى صحراء العرب ، و دليله فى هذه الرحلة .

يحتفظوا بتماسكهم الروحى فى وجه الخطر الذى يطبق عليهم بكثير من الخداع و المكر ، و بصورة لا تعرف الرحمة ، أوالليس ؟ نحن نعيش فى زمن لم يعد الشرق فيه يستطيع أن يبقى ساكنا سلبياً فى وجه الغرب الآخذ بالاطباق عليه ، إن آلافاً من القوى — السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية — تطرق أبواب العالم الاسلامى فهل يخضع هذا العالم و يستسلم إلى حضارة الغرب و يفقد خلال التفاعل ، لا أشكاله و أنظمته التقليدية فحسب بل جذوره الروحية أيضاً (١) »

نعم لم تطل هذه الفترة فلم تلبث هذه البلاد المقدسة أن غزتها الحضارة الغربية و تدفق فيها سيل المصنوعات الحديثة ، و المستوردات الغربية ، و أكثر من أسباب الترف و من « الكماليات » فشحنت الأسواق ، و ملأت البيوت ، و قضت على التقشف فى الحياة و صفات الفتوة و الفروسية التى عرف بها العرب من قديم الزمان ، و كانت من أسباب قوتهم و انتصارهم ، و ظهر اتصال الجزيرة بالغرب عن طريق الحضارة و الثقافة و السياسة و عن طريق البترول ، و كان هذا الاتصال و هذا الاقتباس من الغرب فى مجال الحضارة و التجارة و الثقافة عن ارتجال و تهور و من غير تفكير هادئ و تصميم سابق ، فأصبح هذا الاستسلام للغرب الذى تخوف منه الأستاذ محمد أسد

٢ - الطريق إلى مكة ص ١٤٠

أمراً واقعاً ، و أصبحت الجذور الروحية — فضلا عن الأشكال و الأنظمه التقليدية — مهددة .

التقاليد و العادات لاتستطيع

أن تقاوم الحضارة الجديدة : و لن تطول هذه الفترة - السلبية - فى أى قطر من اقطار الشرق لأن التقاليـد و العادات و الجهاز الاجتماعى أو الادارى الذى ليس وراءه عقيدة راسخة قائمـة على فقه و بصيرة ، و ليس معه ذكاء و ألمعية ، و المقدرة الكافيـة على تطبيق الحقائق و المبادئ الدينيـة الخالدة بالحياة المتطورة و حاجاتهـا الجديدة ، و التمييز بين ما يصلح للاقتباس من الحضارة الجديدة و منتجاتهـا و ما لا يصلح ، لا يستطيع أن يقف طويلا فى وجه هذه الحضارة العارمة ، و كل قطر أو قيادة تمنى نفسها بالاحتفاظ بالقديم ، و الانحصار فى دائرتها من غير هذه المقومات التى ذكرناها و من غير إيمان جديد قوى ، و عقل واع منتج مهددة بالانهيار عاجلا أو آجلا .

و إذا لم يكن الاقتباس من الحضارة الغربية و مرافقهـا و منتجاتها عن إرادة و تصميم ، و باختيار و تمييز ، و عن فقه و بصيرة ، هجمت هذه الحضارة على هـذا القطر أو المجتمع غصباً ، و على الرغم من قادته و ولاة الأمر فيه ، و على الرغم من العلماء و زعماء الدين ، و رحب بهـا أهل البلاد ، و فتحوا لهـا الأبواب ، و التهموها — بصالحها و فاسدها — فى نهـامـة

و جشع ، و اكتسحت القيم الدنيية و الخلقية و غلب قادة البلاد أو ولاتها على أمرهم ، و أفلت منهم الزمام إلى آخر الأبد .

لابد من التخطيط

وإصلاح الاوضاع : لقد أصبحت الأقطار الشرقية — من غير استثناء تقريباً — فريسة الحضارة الغربية فى الزمن الأخير ، و انجرفت فى سيلها العارم من غير امتناع ، أو مقاومة لفقدان العقل الراجح المتزن فى القيادة و فقدان « عمليـــة التميز و الاختيار المحكمة » فى الوجهين . و عدم وجود التصميم أوالتخطيط الحكيم فى نظام المعارف و تنظيم البلاد تنظيما جديداً قائمـاً على التجارب الحديثـــة ، و بسبب وجود نظم و أوضاع كانت نتيجة الانحراف عن التعاليم الاسلامية الصحيحة ، لا يقرها العقل و العدل ، و لا تصلح للبقاء فى أى عصر من العصور فضلا عن هذا العصر القلق الثائر .

و هذه قصة افغانستان التى عرفت فى الشرق بشدة محافظتها و تمسكهـا بالقديم و التقاليد الافغـانية القديمة ، فقد استطاعت أن تعيش بعيدة عن تأثير الحضارة الغربية محتفظة بتراثهـا القديم من ثقافة و اجتماع ، تزهد فى الجديد الصالح حتى رفعت الحجاب بينهـا و بين الحضارة أخيراً و بدأت تهجم على الحضارة الغربية و عاداتها و تأخذهـا بنهامة و شغف .

و تكاد تكون هذه قصة اليمن ، و جميع الأقطار الاسلامية

التى أقامت حولها سوراً عالياً يمنع من دخول كل جـــديد ، من العلوم المفيدة ، و التنظيمات الصالحة ، و الوسائل البريئة وطرق ترفيه الشعب ، و تقوية البلاد عسكريا و صناعياً و تموينا .

و لقد كان الوعى الاسلامى كافياً و كافلا لإصلاح هذه الاوضاع و لكنه كان ضعيفاً أو مغلوبا على أمره ، حتى جاءت هذه الحضارة المادية الثائرة تنادى فى شئ كثير من الغلو و الاسراف بالحرية و المساواة ، و تدعو إلى قلب الأوضاع القديمـــة مهما كانت ، فتفشى القلق و التذمر فى هذا المجتمع ، و قوى الشعور و تضخم بفساد هذه الأوضاع و عدم صلاحيتها للبقاء ، و جاشت النفوس بالكراهة و الثورة على الأوضاع القائمة مهما كانت عاقبتها ، و هذا سر ظهور الثورات العسكرية فى الأقطار الاسلامية ثورة بعد ثورة ، و حكم عسكرى على اثر حكم عسكرى آخر .

سبب حدوث الثورات فى العالم الاسلامى و علاجه : و لعل العالم الاسلامى كان أكثر استعداداً و تهيؤاً لهذه الثورات لوجود الوعى الدينى ، الذى يبعث على القلق و الانكار فى هـــذه البلاد أكثر من عالم آخر أو مجتمع آخر ، أو لفساد الأوضاع فيه أكثر من أى ناحية ، و مادام التخلف فى الحياة و القوة و مادام الفقر المدقع فى بعض الطبقات الذى لا يجـــد معه صاحبه مايقيم الصلب ، و يكسو

العورة ، و يمسك الرمق ، و مادام الثراء الفاحش ، و الاكتناز المجرم و العبث بالأموال إلى حد السفاهة و الجنون ، و مادام الترف و الفجور و الاستهتار فى طبقات الامرا" و الاغنياء تروى قصصه المضحكة المبكية فى كل ناد و فى كل صحيفة ، ومادام الجهل ضاربا أطنابه على الشعب ، ومادام العلماء و زعماء الدين يتقاصرون عن أداء واجبهم الدينى ، و إزجاء كلمة الحق أمام الأقوياء و الأغنياء و يتنافسون فى المناصب و الوظائف و يتصارعون على التافة من الخلافيات و الخسيس من المادة ، و حكاياتهم تروى و تتناقل ، و مادامت التربية الدينية و الأمثلة العملية — فى الورع و الزهادة و سمو النفس و الشجاعة الدينية — مفقودة أو نادرة فى حكم المعدوم ، و مادامت الدعايات و الدعوات تتسرب إلى المجتمع و تجد مرتعا خصبا فى النفوس ، و أدلة و مؤيدات فى الأوضاع ، مادام هذا الوضع الغير الطبيعى و الغير الاسلامى سائداً فى هذه الأقطار الاسلامية فإنها مهددة — لا محالة — بالفوضى الخلقية و السياسية ، معرضة للثورات العسكرية أو الشعبية ، واقفة على فوهة بركان متهيئ للإنفجار فى أى وقت كان .

و لا يمنع من ذلك سلطة قوية ، أو عقاب صارم ، أو محاسبة دقيقة ، أو مراقبة تحاسب على الناس الأنفاس و تتبع الخواطر و الهواجس ، و لا دعايات صحفية أو إذاعية ، و لا بذل

أمـــوال طائلة على أصحـاب الأغراض و المطامع ، و لا مآدب سخيـــة فى السفارات ، و لا مشروعات ترضى أصحاب العاطفـــة الدينية ، إنمـا سبيله مواجهة الحقائق بشجاعة و علم ، و إصلاح الأوضاع باخلاص و صدق ، و إزالة ما يجب إزالتـــه من الفساد ، و تحقيق ما يجب تحقيقه من المطالب ، و تحقيق العدالة الاجتماعية كما أمر بها الاسلام و ثبت فى صريح القرآن و صحيح السنة ، و السعى الحثيث لرخاء الشعب ، و أن يجد كل فرد من أفراد الشعب — بقـــدر الامـكان — قوته ، و منع البذخ الذى يحول بين الشعب و قوته ، و « حاجيـاته » و أن يسبك نظام المعارف سبكا جديداً يتفق مع عقيدة هذه البلاد و رسالتها و مع تطور العصر الحديث و علومه الجديدة ، و يخلق فى الجيل الجديد الايمـان و الخلق و الاستقامة و الثقـــة بالنفس ، و الاعتزاز بالدين و الحماسة فى سبيله ، و يخلق فيه روح الابتكار و الاستقلال الفكرى ، و العصامية و مواجهة الغرب بشجاعة و ذكاء ، و إعادة الروح الدينية و الايمـان القوى . و الشعور الخلق ، و الوعى الاسلامى ، فى الشعب . و إزالة القلق و التذمر بازالة أسبابهما و دواعيهما ، و باصلاح الأوضـــاع و السير و الاقتباس من الغرب ما يصلح لشعب إسلامى ، و يتفق مع عيقدته السمحة ، و ما له قيمة عملية إيجابية ، و ما يقوى الشعب و ينفعه فى كفاح الحياة و المجد والدعوة إلى الله .

هذا هو السبيل الوحيد لإقرار الأمن و السلام ، فى هذه المناطق الشرقية الاسلامية ، و بقاء هذه الشعوب على إسلاميتها و عقيدتها و سيرتها الدينية ، و بعبارة علمية مركزة « إن العالم الاسلامى و أقطاره فى حاجة إلى بناء مجتمع اسلامى تقدمى عادل تستطيع فيه الطريقة الاسلامية فى الحياة أن تعبر عن نفسها تعبيراً عملياً و ثقافياً (١) »

الموقف الثانى موقف الاستسلام و التقليد : و الموقف الثانى ، موقف الاستسلام و الخضوع الكامل ، موقف المقلد المؤمن المتحمس ، و التلميذ البار الصغير الذى لم يبلغ بعد سن التمييز ، و هو أن يقبل العالم الاسلامى — أو جزء منه — هذه الحضارة — المادية الآلية ذات الطبيعة الخاصة — بحذافيرها ، يقبلها بعقائدها الأساسية ، و مناهجها الفكرية ، و فلسفاتها المادية ، و نظمها الاقتصادية و السياسية ، التى نشأت و اختمرت فى بيئة بعيدة عن بيئة هذه الأقطار تحت ضغط عوامل و حوادث خاصة ، و بتوجيهها ، و يحاول تطبيقها فى هذا البلد الاسلامى برمتها ، و يتحمل فى سبيل ذلك كل صعوبة و عنت ، و يدفع له أعظم ثمن ، و أبهظ قيمة .

---

١ - استفدنا فى هذا التعبير من بعض ما جاء فى كتاب « الطريق إلى مكة » للاستاذ محمد أسد ص ٢٢٠ .

فى تركيا و أسبابهـا : و قد سبقت — إلى هذا الأسلوب من التفكير و المنهج من العمل — تركيا الاسلاميـة ، و كان ذلك نتيجة طبعية لعوامل كثيرة ، و رحلة طويلة ، فقد حاربت أوربا مدة طويلة من غير أن تستعد لهـــذه الحرب ، و تتسلح بسلاح عدوهـا العلمى و الصناعى ، و فرطت فى اقتبـاس العلوم المفيدة من أوربا و الصناعات و الفنون الحربية و التنظيم الادارى تفريطاً مجرما ، و أبدى العلماء و زعماء الدين ضعفاً و قصوراً فى توجيه الأمة و البلاد توجيهاً علمياً و فكريا ، و فى الإشراف على اتجاهاتها التى يفرضها الزمان و المكان ، و تغير الأحوال فى العالم كله ، و تقرير الصالح منها ، و تزييف الطالح ، و وقفوا على ما وقف عليه العلم و المعرفة و التفكير ، فى القرن الثامن عشر ، و فوق كل ذلك فقـد استغل السلاطين — إلا من عصم ربك — اسم الدين و اسم الخلافة لصيانة مصالحهم الخاصة ، و تحقيق رغباتهم ، و كانوا من أسبـاب تأخر البلاد ، و الهزائم و الانتكاسات التى تحققت بالأمة ، و ممالأة الأعداء فى أحيان .

أما الجيل الجديد ، الذى كان يتلقى ثقافته فى عواصم أوربا أو فى بعض الكليات العصرية ، فى تركيا ، فقد نشأ على الاستهانة بقيمة الدين و اليأس من مستقبله ، و كراهة رجاله و احتقارهم و على تقديس الحضارة الغربيـــة و تمجيدها ، و الخضوع الزائد

للقيم المادية و المفاهيم الغربية ، و فقد فى هذا الجيل العقل النابغ المتعمق الذى يقدر على نقد فلسفة الحياة الغربية و معرفة جوانب الضعف فيها ، و جوانب الافراط و التطرف و معرفة ما يصلح لتركيا الزعيمة للعالم الاسلامى اقتباسه و الافادة منـــه ، و ما لايصلح و لا يتفق مع طبيعتها و تاريخهـــا و مكانتها فى العالم و مركزها فى الشرق الاسلامى ، و أكثرهم من نوع « العسكريين » و المعلمين الذين لم تكن ثقافتهم واسعة و لا عميقة و لاحرة(١) أو الذين انتهت بهم تجارب حياتهم الخاصة ، و ما لقوا من العلماء و « المحافظين » من تثبيط أو عدم تشجيع ، و ما جربوه فيهم من جمود و ضيق تفكير ، و ما رأوه فى الجيل المسلم القديم ، و زعمائه من النفاق ، يقولون ما لا يفعلون ، و ينهون عن شئ و يأتونه ، أو ما شاهدوه فى البلاد من تأخر و ضعف

---

١ ـ تقول الفاضلة خالدة اديب خانم فى كتابها « الصراع فى تركيا بين الغرب و الشرق » كان أعضاء جمعيـــة الاتحاد و الترقى الشبان من صغار الموظفين لرسميين ، أو ضباطاً فى الجيش ، و لم يكن فيهم فى أول الأمر فرد واحد ، حائزاً على مكانة علمية سامية ، و يفهم الفرق بين العصر القديم و العصر الحديث فى ضوء التحليل و النقد العلمى ، و لكن هولاء الشباب كانوا أقرب إلى الشعب و كانوا إنتاجا وطنياً خالصاً ، و كان معظمهم من أهل مقدونيـه الذين اشتهروا بحب الواقعية و القسوة ، و لايتحاشون عن شئ فى سبيل الوصول إلى غايتهم ، لذلك رغم أنهم كانوا يهدفون إلى غاية نبيلة ، كانوا يستخدمون جميع الوسائل للوصول إلى غرضهم من غير احتشام و تورع .

Conflict Between Est - West In Turkey

انتهى بهم كل ذلك إلى الثورة على كل قديم ، و على كل موجود ، و على التصميم على « تغريب » تركيا .

ضياء كوك الب و فلسفته : و وجد مثل (ضياء كوك الب) (١) فى مجال التفكير ، الذى دعا بكل قوة و صراحة إلى سلخ تركيا من ماضيها القريب ، و تكوينها تكويناً غربياً قومياً خالصاً ، و إيثار الحضارة الغربية على أساس أنها امتداد للحضارة القديمة التى ساهم الأتراك — على زعمه — فى تكوينها و حراستها ، يقول فى مقالة له :

« إن الحضارة الغربية امتداد لحضارة حوض البحر الابيض المتوسط القديمة ، و كان مؤسسو هذه الحضارة — التى نسميها بحضارة البحر الابيض المتوسط — من الأتراك ، مثل السماريين ، و الفينقيين و الرعاة ، لقد كان فى التاريخ ، عصر طورانى قبل العصور القديمة ، لأن سكان آسيا الوسطى القدامى كانوا أجدادنا و فى زمن متأخر جداً ، رقى الأتراك المسلمون هذه الحضارة و نقلوها إلى الأوربيين ، و بتحطيم الامبراطوريتين

١ ـ ولد فى سنة ١٨٧٦ م و تعلم فى استنبول ، و عين استاذاً لعلم الاجتماع ، فى جامعة استنبول ، و كتب معظم مقالاته بين ١٩١١ و ١٩١٨ م و بين ١٩٢٢ و ١٩٢٤ السنة التى توفى فيها ، و يعتبر كمال أتاتورك تلميذاً له فى آرائه و اتجاهاته ، و مطبقاً لما رسمه ضياء من المشروعات و المخططات الفكرية فى بحوثه و مقالاته

المسلمين الغربيـــة و الشرقيـة أحدث الأتراك انقلابا فى تاريخ أوربا . لذلك نحن جزء من الحضارة الغربيـة و لنا سهم فيها »

و يذكر موجبات اعتناق الحضارة الغربية و ما يحدث ذلك من انقلاب ، و ما يفيض من قوة و روح جديدة ، و مركز فى العالم ، و أنه لا يستلزم الإنسلاخ من الدين القديم . فيقول :

« حين تقطع أمة شأواً بعيداً فى نشوءها ، ترى من الواجب أن تغير حضارتها أيضاً ، لما كان الأتراك قبائل رحالة فى آسيا الوسطى دانوا بحضارة الشرق الأقصى ، و لما انتـــهوا إلى عصر « السلطنة » دخلوا فى مساحة الحضارة البزنطيـــة ، و الآن فى طور انتقالهم إلى الحكومـــة الشعبية ، هم مصممون على قبول حضارة الغرب .

إن شعوبا تدين بديانات مختلفة يمكن أن تدين بحضارة واحـدة ، إن اليابانيين و اليهود يشاركون الأوربيين فى حضارة واحدة ، رغم اختلافهم فى الدين و العقيدة ، و بعبـارة أخرى الدين و الحضارة شيئان مختلفان ، لذلك من المغالطـة أن تسمى « حضارة اسلاميـــة » كما لا يصح أن تسمى « حضـارة مسيحية » الدين محدود فى العقيدة و الطقوس التى لا صلة للفنون و العلوم بها »

« لمـا حرر الغربيون أنفسهم من رواسب القرون الوسطى كان المسيحيون الخاضعون للكنيسة ، الارثو ذكسية فى روسيا

لا يزالون عبيداً لها ، و قد عانى بطرس العظيم صعوبات شديدة فى كفاحه لتحرير الشعب الروسى من سيطرة الحضارة البزنطية ، و تقديمهم إلى الحضارة الغربيـــة ، و لكى يعرف الانسان ما هى الوسائل و الأساليب التى يجب أن تستخدم لتغريب البلاد وطبعها بطابع الغرب يكفى أن يدرس تاريخ إصلاحات بطرس ، و كان الناس يعتقدون إلى ذلك الحين أن الروسيين لا يصلحون للتقدم ، و لكنهم بعد الثورة بدأوا يتقدمون بسرعة زائدة ، و يقطعون شوطاً بعيداً فى ميدان النهضة ، و هذه الحقيقة التاريخية تكفى لاثبات أن الحضادة الغربية هى الشارع الوحيد إلى التقدم »

« علينا أن نختار إحدى الطريقين ، إما أن نقبل الحضارة الغربية أو نظل مستعبدين لقوى الغرب ، لابد أن نختار أحد الأمرين ، يجب علينا أن نسيطر على الحضارة الغربية لندافع عن حريتنا و استقلالنا »

دور تركيا التقليدى : إن قادة هـــذا الفكر و الدعوة التى يتزعمها ضياء كوك الب ، كانوا يستحقون إعجابا كبيراً من المؤرخين المنصفين ، و رجال الفكر الأحرار فى العالم الاسلامى ، و إن تركيا كانت تحتل مركزاً خطيراً . فى خريطـــة العالم السياسية ، و الثقافية ، و الاجتماعيـة ، و قد تغير مجرى التاريخ إذا سيطرت على الحضارة الغربية ، و امتلـكت ناصيتها تقودهـا و تسيرها ، إلى غاية مرسومـــة ، و تتصرف فيهـا تصرف القائد

الحر ، الذى يملك إرادته ، و العالم المجتهد الذى يفكر بعقله ، و كانت القدوة الحسنة للشعوب الشرقية الاسلامية التى تعانى الصراع العنيف بين الشرق و الغرب ، و تواجه تحدى الحضارة الحديثة السافر ، و تنظر إلى تركيا كزعيم و إمام ، و أول من تكتوى من الشعوب الاسلامية بنار هذا الصراع بين الغرب و الشرق و واجه زحف الحضارة الغربية وفلسفة الحياة الحديثة .

و لكن ذلك — مع الأسف — لم يتحقق ، إن الذى تحقق هو تقليد تركيا للحضارة الغربية و تمسكها ببعض شعاراتها و مظاهرها ، و الاصلاحات السطحية التى لا تقدم و لاتؤخر فى حياة الشعوب و الأمم و المجتمعات و المدنيات ، و لاصلة لها بالقوة الحقيقية و العظمة السياسية ، و التى فصلت تركيا عن ماضيها القريب ، و عن التراث العلمى الغنى الذى ساهمت فى تكوينه الأجيال الكثيرة و العقول الكبيرة ؛ و فصلت تركيا — زعيمة العالم الاسلامى بالأمس — عن العالم الاسلامى ، و أحدثت فجوة عميقة بين رجال الحكم و التوجيه ، و بين الشعب المسلم القوى ، الفائض بالحب و الايمان و العاطفة الدينية ، الذى ملأ قلوب العالم مهابة و إجلالا لقوة هذه العاطفة و تدفقها . و استطاع أن يقف فى وجه أوربا و غاراتها الساحقة ، و مؤمراتها الدقيقة المستمرة ، التى لم تنقطع و لم تقف يوما واحداً و التى لا قبل لأمة عادية بها ، رغم الضعف الشديد المستمر فى

الطبقة الحاكمة ، و الخيانة فى الضباط و أفقد الشعب النشاط و الثقة ، و الحماسة التى كانت من أبرز مزايا هـذا الشعب المسلم الخالد . و أحـدثت اضطرابا فى المجتمع و فتوراً فى إجابة الدعوات التى تصدر من القيادة و مركز الحكم ، و احتاجت الحكومات المختلفة إلى كبت هذا الشعور و كبح هذه العاطفة ، و تحويل الأمة إلى المادية و القومية و الحضارة الغربيـة ، و الانحصار فى دائرة التفكير الضيقة و المساحة المحدودة بعنف و قسوة لا نظير لها ، ذهب ضحيتها رجال كان فيهم الغناء الكبير للأمة ، و الخير الكثير للبلاد ، و لا يزال الصراع قائماً بين العقلية الحاكمة و عقلية الشعب المغلوب على أمره ، و لا تزال الشرارة ـ الايمانية ـ كامنة فى النفوس و القلب مستعدة للإلتهاب بأدنى حركة و أضعف إشارة .

إن دور الشعب التركى فى اقتباس الحضارة الغربية كان دوراً تقليديا يخلو من كل « أصالة » و من كل ابتكار ، و من كل عصامية ، و من كل إنتاج ، فلم تعمل شيئاً جديا للسيطرة على هذه الحضارة التى انطلقت من الغرب المادى ، السيطرة التى دعا إليها ، و حلم بها ، ضياء كوك الب ، فى مقالته السابقة ، و لم تعمل شيئاً لامتلاك ناصيتها ، و التغلب على قيادتها ، إنما كان دورها دور الاستيراد و دور الاستعارة و دور التطبيق ، لا أقل و لا أكثر ، و لم ينبغ فيها فى هذه الفترة نابغة ، فى

العلوم التطبيقية ، و لا عملاق فى العلوم و الآداب ، و لامؤسس مدرسة جديدة من مدارس الفكر و الفلسفة ، و لا من يضيف إلى هذه الحضارة شيئاً أصيلا له قيمته العلميـــة ، و لذلك بقيت شعباً متوسطاً يعيش على حاشية الشعوب الأوربية، و لم يكن هذا قيمة ما ضحى به هذا الشعب من السطوة السياسية و الحماســة الدينية ، و الدوافع الخلقية و الزعامة فى العالم الاسلامى .

شخصـــية أتاترك

ومأثرته التقليدية : لم يكن كمال أتاتورك (١) — مؤسس تركيا

---

١ - هو مصطفى كمال باشا بن على رضابك ، ولد بمـدينة سلانيك سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨٠ م ، وأصل أسرته من قرية بالاناضول ، و التحق بمدرسة ابتدائية تسير على النهج الأوربى الحديث ، ثم بمدرسة أهلية ثانوية فمكث بها سنة ثم تركها و دخل مدرسة حربية ، ثم انتقل إلى المدرسة الحربية باستانبول و تخرج منها ضابطاً ، وكان ذلك فى عهد السلطان عبـد الحميد الثانى ، و اشترك فى بعض المؤامرات ضده ، فقبض عليـه و نفى إلى دمشق و هرب منها إلى سلانيك ، و التحق بجمعية « الاتحاد و الترقى » و التحق بالجيش ، و عهد إليه بالاشراف على سكة حديد مقدونية ، و خلع السلطان عبد الحميد ١٣٢٧ - ١٩٠٩ ، و قامت الحرب العالميـة الأولى سنة ١٣٣٣ هـ ١٩١٤ م و انضمت تركيا إلى ألمانيا و النمسا ، و اشترك كمال فى هذه الحرب وكان له موقف عظيم فى معركة غاليبولى سنة ١٩١٥ م فذاعت به شهرته و انتهت الحرب سنة ١٩١٨ م بهزيمة ألمانيا و تركيا ، و احتلت انجلترا و حلفاؤها استانبول ، و اختل الأمن فى بلاد الأناضول فاختير كمال ليقوم بحفظ النظام سنة ١٩١٩ م و أعلن الحرب على اليونان الذين استولوا على أزمير و انتصر عليهم سنة ١٩٢١ م فى معركة سقارية و لقب بالغازى ، و أقام فى انقرة حكومة مستقلة ، و ألغى الخلافة و سلطنة آل عثمان ، و أقام حكومة جمهورية علمانية كان أول رئيسها سنة ١٩٢٤ م و استمر على ذلك حتى توفى سنة ١٩٣٨ م .

الجديدة — عالماً واسع الثقافة ، أو مفكراً عميق النظر . إنما كان زعيما قومياً قوى الإرادة . و حاكماً قويا شديد التنفيذ يوجز وصفه مؤرخه الانجليزى الشهير ، فيقول : « فى مواهبه و كفايته كان جنديا . و فى غريزته كان معلم ثانوية . و فى اتجاهه كان سياسياً » (١)

و مأثرته التاريخية أو بطولته — كقائد و زعيم — مقصورة على « عملية النقل و التحويل » التى قام بها و نجح فيها أكثر من غيره . يقول المؤرخ السابق ملخصاً دوره «العظيم» الذى مثله فى تاريخ تركيا الأخير .

« انطلق « كمال أتاتورك » يكمل عمل التحطيم الشامل الذى شرع فيه ، و قد قرر أنه يجب عليه أن يفصل تركيا عن ماضيها المتعفن الفاسد ، يجب عليه أن يزيل جميع الأنقاض التى تحيط بها ، هو حطم فعلا النسيج السياسى القديم ، و نقل السلطنة إلى (ديمقراطية) و حول الامبراطورية إلى قطر فحسب جعل دولة دينية جمهورية عادية .

إنه طرد السلطان (الخليفة) و قطع جميع الصلات عن الامبراطورية العثمانية ، و قد بدأ الآن فى تغيير عقلية الشعب بكاملها ، و تصوراته القديمة ، عاداته ، لباسه ، أخلاقه ، و تقاليده ، أساليب الحديث ، و مناهج الحياة ، المنزلية التى

(1) H . c . Armstrong Grey Woolf P. 294

تربطه بالماضى ، و بالبيئة الشرقية ، لقد كان ذلك أصعب بكثير من تكوين الجهاز السياسى من جديد ، و كان يشعر بصعوبة هذه العملية فقد قال مرة : « انتصرت على العدو ، وفتحت البلاد هل استطيع أن انتصر على الشعب ؟ » (١)

إنه انتصر على الشعب حقاً فقد جعل الدولة علمانية ، ليس الاسلام دينها الرسمى ، و أحدث الفصل بين الدين والسياسة و قرر أن الدين قضية شخصية . لكل فرد أن يختار له دينا و يدين به ، من غير أن يكون له دخل فى السياسة ، و الادارة، و ألغى الخلافة ، و ألغى المحاكم الشرعية ، و قانون الشريعة الاسلامية ، و قرر العمل بالقانون المدنى السويسرى ، والقانون الجنائى الايطالى ، و القانون التجارى الألمانى ، و أدخل الأحوال الشخصية فى القانون المدنى الأوربى ، و منع التعليم الدينى ، و عطل مراكزه ، و منع الحجاب ، و قرر السفور و التعليم المختلط ، و ألغى الحروف العربية و أبدلها بالحروف اللاتينية ، و منع الأذان بالعربية و جعله بالتركية ، و غير اللباس ، و ألزم لبس القبعة ، و بعبارة مورخه .

« قد حطم الأساس الدينى و غير وجهة نظر الشعب التركى و الحكومة التركية » (٢)

---

(1) Grey Woolf . P 287

(2) P . 190

إن « أتاترك » نجح فى إقصاء العنصر الاسلامى و العربى من الحياة التركية ، و لا يدرى أحد هل كان هذا الانتصار موقتا تقضى عليه ثورة الشعب التركى المسلم ، و انتفاضته الايمانية ، أم تطول مدته ، و على كل فقد كان تغييراً شاملا عميقاً .

تأثير أتاترك فى العالم الاسلامى : و هكذا كانت تركيا — مع الأسف — طليعة حركة التجديد — و بعبارة أصح التجدد — و طليعة « التغريب » و قدوة الزعماء « التقدميين » فى الدول والحكومات و الأقطار الاسلامية ، و كان كمال أتاتورك رمز التقدم و « الثورة » فى كل بلد ناهض ، و فى كل مجتمع متحرر فى العالم الاسلامى ، و المثل الأعلى للقادة و السياسيين و المفكرين المسلمين على اختلاف أجناسهم و بيئآتهم ، و لا نعرف زعيما — على فقره فى النبوغ العقلى و التعمق — من زعماء البلاد الاسلامية أثر فى العقول و النفوس ، و أثار الاعجاب بشخصيته و أعماله و أثار الرغبة فى تقليده و الاحتذاء به ، مثل ما فعل « كمال أتاتورك » فى الزمن الأخير .

و كان السبب الأكبر فى ذلك ما اشتهر أنه أنقذ تركيا من الخطر المحدق بها الآخذ بالخناق ، و أسس حكومة قوية ، و كسب احترام الحكومات الأوربية و الزعماء السياسيين فى أوربا ، و كان المسلمون فى الشرق متعطشين إلى القوة السياسية

و المجد و الاستقلال ، يخضعون بالاجلال لكل من يتسم بذلك أو يسعى إلى ذلك ، فخضعوا لأتاتورك و دانو له بالحب العميق و التقديس المفرط . و نسوا فى تقديسهم ما للشعب التركى المؤمن الشجاع من سهم و من فضل فى هذه الثورة ، و فى التمرد على الأوضاع القاسية ، و الأمم الضارية ، و فى بناء هذا الكيان القومى المتين ، و ردوا الفضل كله فى ذلك إلى عبقرية « كمال » و قيادته الفذة .

و السبب الثانى أن اصلاحاته صادفت رغبة فى نفوس الزعماء القوميين ، و عبرت عما تجيش به نفوسهم من القلق و الثورة على القديم ، و التحرر من ربقة الدين ، و الاتجاه بشعوبهم إلى الحضارة الغربية ، و مهما كانت الأسباب فان كمال أتاتورك قد حل محلا فى النفوس لم يشغله زعيم شرقى من زمن طويل ، و كان له تأثيره المتوقع فى اتجاه الشعوب و الأمم الاسلامية و الموقف الذى اتخذته أزاء الحضارة الغربية .

الصراع بين الشرق و الغرب فى الهند :

و كان المجال الثانى الذى ظهر فيه — لعوامل سياسية و ثقافية — الصراع بين الشرق و الغرب واضحاً قويا ، و كان مكلفاً باختيار أحد الطريقين ، الحياة الاسلامية على أساس العقيدة و الايمان ، و الحياة الغربية على أساس القوة و التقدم ، هو الهند التى توطدت فيها الحكومة البريطانية ،

الزعيمة للحضارة الغربية فى الشرق و زحفت إليها العلوم الحديثة و التنظيمات الجديدة ، و ما تستتبعها من آلات و مصنوعات و آراء و فلسفات ، و كان الشعب الاسلامى الهندى منهوك القوى ، مثخنا بالجراح ، مجروح الكرامة ، تعانى دهشة الفتح و عار الهزيمة ، و جيشاً من التهم و الظنون ، و يواجه فاتحاً ممتلئاً بالقوة و الشباب و الثقة ، و حضارة زاخرة بالجدة و النشاط و الانتاج ، و قضايا كثيرة و مشكلات تطلب الحل السريع الحازم ، و الموقف الواضح الحاسم .

القيادة الدينية

و المدرسة القديمة : فى هذه الساعة العصيبة الدقيقة ، و فى هذه الحالة النفسية المحرجة برز فى الميدان نوعان من القيادة ، أولهما القيادة الدينية التى يتزعمها علماء الدين ، و القيادة الثانية، يتزعمها سيد أحمدخان و تلاميذه و أنصاره من أهل المدرسة الجديدة .

أما علماء الدين فقد كانوا أقوى علماء العالم الاسلامى شخصية دينية ، و من أكثرهم رسوخا فى الدين ، و زهداً فى الدنيا، و إيثاراً للاخرة ، و غيرة على الاسلام و جهاداً فى سبيله بالنفس و النفيس ، و لكن جوهم الخاص الذى عاشوا فيه ، و ثقافتهم القديمة ، لم تمكنهم من السيطرة على هذه الحضارة الغربية و الثقافة الجديدة و قيادتها إلى ناحية جدية مجدية تعود

على الاسلام و المسلمين بالنفع و القوة .

ثم إن الهمجية التى ظهرت من الحكومة الانجليزية والقسوة النادرة التى عاملت بها المسلمين الذين اعتبرتهم أصحاب الفكرة فى الثورة الفاشلة سنة ١٨٥٧ م و قادتها (١) و تحمس الحكام و الولاة الانجليز لنشر المسيحية فى طبقات الشعب الهندى ، والسرعة الزائدة التى كانت الحضارة الغربية تنتشر بها فى الجمهور وتأثيرها فى عقيدة المسلمين و أخلاقهم، كل ذلك وضعهم فى مركز الدفاع عوضاً عن الهجوم ، و جعلهم يفكرون فى الاحتفاظ بالبقية الباقية من العاطفة الدينية ، و الروح الاسلامى و مظاهر الحياة الاسلامية و الدعوة إلى التجنب عن هذه الحضارة و الابتعاد عنها ما أمكن ، و جعلهم يفكرون فى بناء معاقل الحضارة الاسلامية و الثقافة الاسلامية ، و العلوم الشرعية ، و تخريج العلماء و الدعاة و المرشدين من هذه المعاقل التى سميت بعد بالمدارس العربية .

وكان على رأس هذه الحركة الاصلاحية و التعليمية المنتجة مولانا محمد قاسم النانوتوى (٢) مؤسس معهد ديوبند الكبير ، و

---

١ - إقرأ فصل « الدور الذى قام به المسلمون فى تحرير الهند » فى كتابنا « المسلمون فى الهند » ص ٨٤ — ٩٤

٢ - هو الشيخ الامام قاسم بن أسد على البكرى النانوتوى ولد بنانوته سنه ١٢٤٨ و قرأ على الشيخ مملوك العلى النانوتوى و أخذ الحديث عن الشيخ عبد الغنى بن ابى سعيد الدهلوى و أخذ الطريقة عن العارف الكبير الشيخ امداد الله العمرى التهانوى و أسهم فى ثورة سنه ١٨٥٧ على الحكومة الانكليزية و اضطر إلى لاختفاء مدة من الزمان و تبنى فكرة تأسيس مدرسة كبيرة فى ديوبند و انقطع إليها و كانت له مراقف ٥

كان لهـــذه الحركة وقادتها فضل كبير فى تمسك الشعب الهنـــدى الاسلامى بالدين و شريعة الاسلام ، و تفانيه فى سبيله ، والتماسك أمام الحضارة الغربية المادية الإلحادية تماسكا لم يشاهـــد فى بلد إسلامى آخر تعرف بهذه الحضارة و وقع تحت حكم أجنبى ، و كانت ديوبند زعيمة هذا الاتجاه و المركز الثقافى ، الدينى و التوجيهى الاسلامى الأكبر فى الهند (١)

حركة ندوة العلماء : و كانت حركة ندوة العلماء الفكرية التى أسسها مولانا محمـــد على المونكيرى (٢) وقادهـا الأستاذ شبلى

---

* عظيمة فى مناظرة النصارى و الآرية ظهرت فيهـا براعته و ذكاؤه و إخلاصه و عارض قائد الحركة التعليمية الجديدة السيد احمـد خان لآرائه الشـاذة و حريته الزائدة فى تفسير القرآن و الدعوة إلى تقليد الحضارة الغربية و قد اعترف السيد احمد خان بتبحره فى العلم و إخلاصـه فى المعارضـــة و زهده فى زخارف الدنيا ، له مؤلفات بديعة اشهرها تقرير داپذير ، و حجة الاسلام ، و آب حيات ، توفى إلى رحمة الله سنه ١٢٩٨هـ

١ ـ أنظر فصل « مراكز العلم و الثقافة الاسلامية » فى كتاب « المسلمون فى الهند ص ٦٤ - ٦٦ .

٢ ـ هو السيد محمد على بن عبد العلى الحسينى ، ولد فى كانفور فى ٣ شعبان ١٢٦٢هـ ٢٨ يوليو ١٨٤٦ م ، تخرج فى مدرسـة فيض عام كانفور ، و بايع الشيخ العارف فضل رحمن الـگنج مراد آبادى و اختص به ، قاوم حركة التنصير فى الهند مقاومة فعالة و ألف و كتب و قام بجولات واسعة فى البلاد و أسس ندوة العلماء فى سنـــة ١٣١٠ هـ ـ ١٨٩٣ م ، و أنشأ دارالعلوم التابعة لها فى عام ١٣١٦ هـ - ١٨٩٨ م ، و قاوم حركة القاديانيـة فى « بهـار » و بايعـة خلق كـــثير يعدون بالآلاف ، توفى فى ٩ ربيع الاول سنة ١٣٤٦ هـ و كان من كبـار المخلصين و العلماء الربانيين الذين شعروا بتغير الأحوال و الأوضاع فى العالم الاسلامى ، و نهضوا للتجديد فى مناهج التعليم الدينى .

النعمانى (٣) و زملاؤه ، و دار العلوم التابعة لها جديرة باحداث قنطرة تصل بين الثقافتين الاسلامية و الغربية ، و الطبقتين ، علماء الدين و المثقفين العصريين ، و إحداث فكر جديد يجمع بين محاسن القديم و الجديد ، و بتعبير أصحاب هذه المدرسة الفكرية « بين القديم الصالح و الجديد النافع » و « بين التصلب فى الأصول و الغايات و التوسع و المرونة فى الفروع و الآلات » فكانت — لو قدر الله — خطوة مباركة و فتحاً جديداً يستحق التقليد فى الأقطار و المجتمعات الاسلامية التى خاضت فى ذلك العهد فى معركة الصراع بين القديم و الجديد ، و لكن هذه الحركة لم تحظ بالتعاون الذى كانت تستحقه من كلتا الطبقتين ، القديمة و الجديدة ، لاتساع الفجوة بينهما ، و لوجود التطرف و المغالاة فيهما . و للخلافات التى حدثت فى صفوف العاملين لهذه الفكرة ، و أخيراً لا آخراً لعدم وجود طبقة من الأساتذة والموجهين،

---

٣ - هو الشيخ شبلى بن حبيب الله ولد فى سنة ١٢٨٤ ﻫ فى آعظم گڑه ، و درس زمانا فى كلية على گڑه ، و صحب السيد أحمد خان مؤسس الكلية و أنكر بعض اتجاهاته المتطرفة و فارق الكلية و زار تركيا و مصر و سوريا ، و أقام فى حيدرآباد خمسين سنين ، مديراً لنظارة العلوم و الفنون ، و أسهم فى حركة ندوة العلماء و كان عضوها الشيط والمشرف التعليمى لمدة ثمانية أعوام ، ثم استقال و أسس المجمع العلمى المعروف بدار المصنفين ، فى آعظم گڑه و ألف فى التاريخ الاسلامى كتبا مهمة ، وكانت له مكانة مرموقة فى الشعر و الأدب و التاريخ ، و من مصنفاته المشهورة ، سيرة المامون و سيرة النعمان ، و كتاب الجزية فى الاسلام ، و حقوق الذميين ، و الفاروق و شعر العجم و غير ذلك ، توفى ١٣٧٢ ﻫ ببلدة آعظم گڑه .

الذين قد تبحروا فى الثقافتين ، و قد أحسنوا هضمهما ، و كونوا من هذه المواد — التى قد تبدو متناقضة — رحيقاً صافياً شهيا نافعاً ، كما تعمل النحل من الأزهار و الأشجار ، و بقى معظم الشعب يتأرجح بين طبقتين ، طبقة ترى العدول عن القديم و نظمه التعليمية و الانحراف عنها قيد شعرة ضربا من التحريف أو نوعا من البدع ، و طبقة تقدس كل ماجاء من الغرب و تبرئه من كل عيب و نقص ، و تعتقد بأصحابه العظمة و العبقرية ، فى جميع الآراء و المذاهب الفكرية .

قيادة السيد أحمد خان

و مدرسته الفكرية : أما القيادة الثانية التى تزعمها سيد أحمد خان فقد قام على أساس تقليد الحضارة الغربيه ، و أسسها المادية و اقتباس العلوم العصرية بحذافيرها و على علاتها ، و تفسير الاسلام و القرآن تفسيراً يطابقان به ما وصلت إليه المدنية والمعلومات الحديثة فى آخر القرن التاسع عشر المسيحى (١) و يطابقان هوى الغربيين و آرائهم ، و تقبلهما أذواقهم ، و استهانة بما لا يثبته الحس و التجربة ، و لا تقرره علوم الطبيعة فى بادى النظر ، من الحقائق الغيبية ، و أمور الطبيعة (٢)

---

١ ـ و كان كما لايخفى دوراً لم تبلغ فيه العلوم الطبعية نهايتها و اكتمالها ، و كانت لا تزال فى دور الطفولة و النشوء و الارتقاء .

٢ ـ إقرأ للتفصيل و فهم أسلوب التفكير الدينى الذى اتبعه سر سيد أحمد خان فى آرائه الدينية و مناهجه الكلامية ، كتاب — Religious Thought of

شاهد السيد أحمد خان (١) انهيار الحكومة الاسلامية المغولية التى كانت صورة مصغرة شاحبة للامبراطورية الاسلامية و رأى إخفاق الثورة الكبرى فى سنة ١٨٥٧ م ، و اطلع على أسباب هذا الاخفاق الذريع و انهزام مجموعة كبيرة ضخمة من أهل البلاد أمام حفنة من الأجانب الغرباء ، و رأى ما دفع المسلمون من قيمة هذه الثورة التى رسموا خطتها و تولوا كبرها ، و رأى هوان الشعب الكبير الذى كان صاحب الأمر و النهى فى البلاد ، و شقاء الأسر و البيوتات الكبيرة ، و رأى سطوة

– Syed Ahmad Khan.

(Bashir Ahmad Dar M. A.) المؤلفه بشير أحمد دار

Institvite of Islamic Culture, LAHORE.

من مطبوعات مجمع الثقافة الاسلامية .

١ - هو السيد أحمد بن المتقى بن الهادى الحسينى الدهلوى ، ولد فى سنة ١٢٣٢ ه ١٨١٧ م و قرأ المتوسطات فى العلوم العربية ، و عنى بالهيئة و الهندسة و الاقليدس عناية خاصة ، و تولى الوظائف و القضاء فى الحكومة الانجليزية ، و ألف كتبا ذات قيمة علمية فى التاريخ ، و تولى تصحيح بعض الآثار العلمية و المؤلفات القديمة ، و أشرف على ضبطها و نشرها ، و كان من انصار الحكومة الانجليزية و ممن سعى فى إخماد ثورة ١٨٥٧ م و توطيد الحكم الانجليزى و إزالة سوء التفاهم و الوحشة بين الشعب و الحكومة و كافأته الحكومة على ذلك براتب شهرى ، و أنشأ مجمعاً علميا للترجمة و التأليف و النشر ، و أصدر مجلة « تهذيب الأخلاق » و سافر إلى اوربا سنه ١٢٨٦ ه (١٨٦٩ م) و الف هناك كتابه المشهور الخطبات الأحمدية فى العرب و السيرة المحمدية فى الرد على السير و ليم ميور ، و الدفاع عن صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ، و انشأ سنة ١٨٧٥ م كلية اسلاميه انجليزية ، و هى التى تسمى الآن جامعه عليكره الاسلامية و توفى سنه ١٣١٥ ه - ١٨٩٨ م .

الانجليز تقوم على هذه الأنقاض ، و أبهـــة ملكهم ، و طلائع مدنيتهم الخلابة ، و آياتهـا البـاهرة ، و اتصل بالانجليز اتصالا وثيقاً عن طريق الوظيفة و الزمالة ، و عن طريق الصداقـــة و التعارف ، فأعجب بذكائهم و كفاءتهم و مدنيتهم ، و كان رجلا مرهف الحس ، حاد الذهن ، قوى العاطفة عصبياً ، سريع الانفعال و القبول ، مشاركا فى الثقافة الدينية غير راسخ فيهـا ، و لامتقن لها ، جريئاً فى إبداء الرأى فتأثر بالانجليز ، تأثر المغلوب بالغالب ، و الضعيف بالقوى ، و قلد حضارتهم ، و أساليب حياتهم شخصياً و صار يدعو إلى هذا التقليد فى حماسة و قوة ، و يرى أن هذا التقليد و الظهور فى مظهر سيد البلاد و مجاراته فى الحيـاة و العادات تزيل الهيبـــة من قلوب المسلمين ، و تعالج « مركب النقص » فيهم ، و ترفع مـــكانتهم فى عيون الولاة ، و رجال الحكومة و تضعهم فى مكان الزملاء ، الشركاء فى الحياة ، الأقران فى الاجتماع ، يدل على هذه الفكـرة دلالة واضحـــة ما جاء فى بعض مقالاته ، يقول :

« لابد أن يرغب المسلمون فى قبول هـــذه الحضارة ، (الغربية) بكمالها حتى لا تعود الأمم المتحضرة تزدريهم أعينهـا ، و يعتبروا من الشعوب المتحضرة المثقفة » (١) .

و قام السيد أحمد خان برحلة انجلترا فى أول أبريل ١٨٦٩م

١ ـ مجلة « تهـذيب الاخلاق » مقالات السيد أحمد خان ج ٢ ص ١ .

فكان أول مسلم هندى سافر إلى الجزائر البرطانية ، فى هذا العهد الباكر ، و قد كانت قناة السويس فى دور الإنشاء (١) و قد قابل صاحب فكرتها و الاشراف عليها المهندس الفرنسى الشهير الموسيو فردينان دى ليسپس (Ferdinand De Lesseps) الذى كان مسافراً فى نفس السفينة .

و كان السيد أحمد خان موضع حفاوة نادرة فى لندن ، و قد مكث فيها سبعة عشر شهراً ، كان فيها ضيفاً مبجلا و زائراً كريماً ، و صديقاً عزيزاً ، فى الأوساط الانجليزية المحترمة ، و حضر المآدب الملكية الفخمة و الولائم « الارستقراطية » التى تمثل الحضارة الأوربية فى أورع مظاهرها ، و أخلاق الطبقة الحاكمة ، و طبقة الأشراف ، و نال الوسام الملكى و لقب الشرف ، و قابل الملكة ، و ولى العهد و الوزراء الكبار ، و اختير عضواً نخريا فى جمعيات علمية ذات الشرف الكبير ، وحضر حفلة نادى المهندسين الكبار و اطلع على المشاريع و الخطط التقدمية التى مرت بها البلاد فى الزمن القريب ، و التى أحدثت ثورة و انقلابا فى الأوضاع ، و فى مستوى البلاد ، و مكنتها من بسط نفوذها و سيطرتها الفكرية و السياسية .

---

١ - و فى ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ (أثناء وجود السيد احمد خان فى لندن) فتحت الترعة لمرور المراكب و جرى ذلك باحتفال عظيم لم يكد يسمع بمثله و ما رجع السيد احمد خان إلى بلاده إلا و المشروع العظيم قد تم و الترعة مفتوحة للسفن .

رأى السيد أحمد خان فرنسا و انجلترا و هما فى أوج مدنيتهما ، و فى ريعان الصناعة الحديثة ، و العلم الجديد ، و رأى المجتمع الانجليزى فى عصر لم يتسرب إليه الوهن ، و لم يعتره الضعف الذى أصيب به بعد الحرب الأولى ، و رأى الحيوية تتدفق منه ، و الطموح إلى غزو العالم و إخضاعه يملك زمامه ، و قد شغل بمشاهدة جانبه المشرق الوضاء عن مشاهدة جانبه الضعيف الأسود ، و هو الجانب الخلقى و الروحى ، و جانب الاستعمار الغاشم ، و الاجرام العالمى و الأثرة القومية ، و القسوة على غير الانجليزى — التى رأى مظاهرها فى الهند — فأعجب بهذه الحضارة و المجتمع الذى يمثلها إعجابا ملك عليه النفس و الفكر ، و ملاء جميع جوانحه و جوانب تفكيره ، و رجع إلى البلاد فى ٢ من اكتوبر سنة ١٨٧٠ م داعية متحمساً إلى تقليد الحضارة الغربية ، و إصلاح المجتمع الاسلامى الهندى على أساس تقليد المجتمع الأوربى و مبادئه و قيمه ، و تبنى هذه الدعوة بكل إخلاص و بكل حماسة ، و وهب لها مواهبه كلها ، و أصبحت نظرته مادية ، بحتة تخضع للقوى الطبيعية ، و السنن الكونية — كما يفهمها — خضوعا زائداً ، و يخضع لها عقيدته و يؤول على أساسه القرآن تأويلا يبلغ به حد التحريف و العبث بأصول العربية و اللغة ، و النحو و التواتر و الاجماع ، فصار يفسر القرآن

تفسيراً (١) يخرق فيه الاجماع ، و ينقض به اللـــغة ، و يثير العجب و الانكار فى الأوساط الدينية ، و العلمية ، و قد أصاب الدكتور محمد البهى فى نقد هـذا الاتجـاه إذ يقول فى كتابه « الفكر الاسلامى الحديث »

« فحركة السيد أحمد خان كانت تقوم على الافتتان بالعلم الطبيعى و الحضارة الغربيـة المادية ، كما يفتتن فى عصرنا الحـاضر بعض المفكرين بمـا يسمى « العلم » (Sceince) و بالمركـبات الحضارية التى قامت عليه ، و الافتتان بالعلم الطبيعى أو بالطبيعـة كما يقال يؤدى إلى خفة وزن القيم الروحية و المثـالية و هى القيم التى تقوم عليها رسالة الأديان السماوية التى يمثلها الاسلام أوضح تمثيل ، و قد يصير الافتتان بهذا العلم الطبيعى إلى إنكار كل قيمة أخرى مما لا يشاهد فى الطبيعـة ، و يدرك بالحس الانسانى ، و من هنا ربط السيد جمال الدين الأفغانى بين إلحاد السيد أحمـــد خان و مذهبه الدهرى أو الطبيعى مع بقاء انتسابه إلى الاسلام ، و نعته بالالحاد رغم ما كان يكرره من القول من أنه يدافع عن الاسلام . و أنه ينبغى أن يوجـــد طريقاً للمسلم المعاصر يوفق فيـــه بين اسلامه و تقبله الحياة العصرية التى قامت على إثر نهضة العلم الطبيعى » (٢)

---

١ - سماه « تفسير القرآن و هو الهدى و الفرقان » كتبه فى اردو فى ستـة مجلدات ، و قد وصل فيه إلى تفسير سورة النحل .

٢ - ص ١٥ - ١٦

و قد كان هذا الاتجاه المادى المتطرف و الاسراف فى تمجيد العقل و المبالغة فى سلطانه و حدوده ، و إخضاع إرادة الله و قدرته و كتابه لقوانين الطبيعة و قوانين هذا العالم ، و الجرأة على التفسير و تأويل معانى القرآن ، تأويلا جريئاً قد فتح باباً واسعاً للفتنة و التحريف و الإلحاد فى آيات الله و الفوضى فى الدين و العقيدة التى انتشرت فى العصر الأخير (١)

جوانب الضعف فى

فكرة السيد أحمدخان : اتسمت خطة السيد أحمد خان التعليمية بسمتين تقاصرت بسببهما عن أن تكون الثورة المنشودة التى تشتد إليها حاجة العالم الاسلامى ، و عملا ايجابياً بناءاً يلائم وضع هذا المجتمع القائم على أساس العقيدة و الايمان ، و الرسالة المحمدية، و يملأ الفراغ الهائل الواقع العالم فى الاسلامى كله .

أولا أنه لم يفكر فى إخضاع هذا النظام التعليمى الذى أخذ شكله النهائى فى البيئة الغربية ، لطبيعة هذا المجتمع الاسلامى الهندى الذى كان يريد تطبيقه فيه ، و حاجاته و أوضاعه ، و لم يفكر

---

١ - قد يفهم القارى من كتاب « الفكر الاسلامى الحديث » للدكتور محمد البهى (ص ١٧) أن المذهب القاديانى انبثق من الحركة التجديدية الدينية التى قام بها السيد احمد خان و ليس الأمر كذلك فان السيد احمد أنكر على مؤسس القاديانية ادعاء النبوة و عارضه، إن قصارى الأمر أن الجو الذى هيأه السيد احمد خان قد ساعد فى انتشار هذا المذهب و قبول آراء صاحبه المتطرفة و قد كان خليفة القاديانى و عقله الأول نور الدين الحكيم من كبار المعجبين بمدرسة السيد احمد خان فى التفسير و التأويل .

فى سبكه سبكا جديداً اسلامياً هنديا ، و لم يفصله عن الحضارة الغربية و روحها المادية التى لا لزوم لها فى بلد اسلامى شرقى بل انه استورد هذا النظام من الغرب بتفاصيله و خصائصه و روحه و طبيعته ، و مع الحضارة التى تكتنفه ، و ألح على كلا الجزئين — المنهاج التعليمى ، و الحضارة الغربية — إلحاحا شديداً بل شرط — فى قانون الكلية — أن يكون العميد دائما انجليزيا و أستاذان — على الأقل — من الانجليز ، و مدير الثانوية من الانجليز ، و يزاد فى هذا العدد كلما اتسعت له ميزانية الكلية (١) .

و هكذا كان فلم يزل أربعة أو خمسة من الأساتذة الكبار من الانجليز يتولون التدريس فى أقسام مختلفة و يشرفون عليها ، و كان لهم تأثير شديد عميق فى نظام الكلية ، و أخلاق الطلبة حتى استطاعوا — بنفوذهم — أن يلعبوا دوراً مهما فى سياسة البلاد ، و قد كان عميد الكلية المستر ثيودربك — الداهية الانجليزى — صاحب التوجيه الأول فى السياسة الاسلامية الهندية ، و قيادة الرأى ، و قد كان لهذا التوجيه عواقب و خيمة فى السياسة ، و اتجاه المسلمين السياسى (٢) .

و هكذا اقترنت دعوة السيد أحمد خان التعليمية بالدعوة إلى الحضارة الغربية من غير لزوم و حاجة إلى ذلك ، فخامت

---

١ ـ حياة جاويد (سيرة سيد احمد خان) لصديقه الأستاذ ألطاف حسين حالى ص ٢٨٢

٢ ـ إقرأ فصل « الدور الذى قام به المسلمون فى تحرير الهند » فى كتاب « المسلمون فى الهند » للمؤلف .

حولها الشبهات و اكتنفتها أجواء من السخط و الإستياء ، و أثارت انكاراً شديداً فى الأوساط الدينية ، و رافقتها — منذ نشوءها — دعوة إلى مقاطعة هذه الحركة و الابتعاد عنها ، خلقت مشكلات كثيرة فى سبيلها . و عارضها علماء الدين الذين لم يكونوا يعارضون تدريس اللغة الانجليزية و العلوم المفيدة ، لما اقترن بها و رافقها من أول يومها ، من الخضوع للحضارة الغربية و قيمها ، و التأثير فى الأخلاق و العقائد ، و بسبب سيطرة الأساتذة و رجال الادارة الانجليز و نفوذهم فى هذه المؤسسة الوليدة ، و فى عقول الشباب المسلمين — الذين ينتمون إلى أكرم الأسر الاسلامية و أذكاها — و فى أخلاقهم . و قد نشأ — بفعل هذه المؤثرات و بتأثير الجو الغربى الذى يسود فى هذا المعهد — جيل مثقف اسلامى الاسم غربى التفكير ، إنجليزى الطراز ، مضطرب العقيدة ، يعيش فى عزلة عن المجتمع بعيداً عن أحاسيسه و مشاعره ، مختلفاً عنه فى مستوى المعيشة ، و يخلق مشكلة جديدة فى البيوتات و فى المجتمع الاسلامى ، و لا ينسجم معه انسجاما كلياً .

و السمة الثانية أنه تمسك فى هذا النظام التعليمى بتعليم اللغة و الآداب فقط ، و لم يعن بتعليم الفنون و العلوم التطبيقية العملية العناية التى تستحقها مع أنها هى ثمرة العلم الجديد اليانعة ، و سر قوة الأمم الغربية و سيادتها ، و هى التى يجب أن

تستفاد من الغرب و يحرص على دراستها و البراعـــة فيها ، بل أنه — سامحه الله — عارض فى بعض الأحيان تعليم الصنائع و العلوم معارضة شديدة ، و كتب فى هذا الموضوع مقالات شديدة اللهجة ، مريرة النقد ، آخرها المقال الذى نشرته مجلة « عليكره كزت » (Aligarh Gazette) فى عددها الصادر يوم ١٩ فبراير سنة ١٨٩٨ م يقول فيه : « إن الهند نظراً إلى حالتها الراهنـــة ليست فى حاجة إلى تعليم الصنائع ، إن الأهم المقدم هو الثقـافة الفكرية من المستوى الأعلى التى لم تتحقق أو لم تكمل بعـــد » و قد تخوف السيد أحمد خان بما كان يقرأ لكبار الانجليز من الحث على دراسة العلوم الصناعية أن الانجليز يريدون وقف التعليم العالى أو تعليم الآداب الغربيـة ، فكان يحارب هذه الفكرة بكل قوته و بلاغتـــه ، و قـــد ألقى محاضرة طويلة فى حفلة مؤتمر التعليم الاسلامى الخامسة فى هذا الموضوع ، و عارض أن يكون مشروع تعليم العلوم الصناعيـــة على حساب تعليم الآداب الانجليزية و الدراسات الأدبية ، و قد عرض هذا المشروع مراراً و بحث فيه فى لجان جامعة إله آباد ، و كان السيد أحمد خان من كبـار خصومه و معارضيه (١) .

و كانت نتيجة ذلك أن الجامعة الاسلاميـة اتجهت اتجاهـا علمياً أدبياً محضاً ، و سيطرت عليه نزعـــة التقليد و التطور ، و

١ . حياة جاويد ص ٣٠٢ — ٣٠٣ .

نزعة التوسع فى الآداب و خرجت عدداً لا يستهان به من الخطباء و الأدباء و الاداريين و القضاة و المؤظفين الكبار ، و لم تخرج — بطبيعة الحال — رجالا مبرزين و مبتكرين فى علوم الهندسة و الميكانيكا ، و الطبيعة و الكيمياء و الصناعات المفيدة ، العلوم التى كان الشعب الاسلامى الهندى فى فقر شديد فيها ، و كان ذلك من أسباب تخلفه و اقتصاره على الوظائف الحكومية و المراكز الإدارية المحدودة دائماً .

محصول هـذه الحركة و انتاجها : و على كل فقد آتت هـذه الدعوة التعليمية — التى تزعمها السيد أحمد خان بقوة و إخلاص — ثمراتها ، و ملأت الفراغ الثقافى و الاقتصادى الواقع فى المجتمع الاسلامى الهندى ، بعد استقرار الحكم الانجليزى فى الهند ، و عالج — إلى مدى محدود — القلق و اليأس المسيطرين على نفوسهم ، و تخرج فى هذه الجامعة بعض خيرة الشباب و قادة الفكر ، و الزعماء السياسيين و أدباء كبار ، و شخصيات قوية قادت حركة « الخلافة » (١) وحركة التحرير فى الهند وساهمت فى قيام دولة باكستان و إدارتها بعد ، و لكنها — على ما لها من فضل فى ثقافة المسلمين الجديدة و فى حالتهم الاقتصادية — لم تحقق

---

١ - هى حركة تاييد الحكومة العثمانية فى قضاياها الاسلامية و معارضة الحلفاء و كانت من اقوى حركات الهند الاسلامية السياسية .

الغرض المطلوب من الاستفادة بتجارب الغرب و تكييفها للمجتمع الاسلامى و ظروفـــه ، و لم تملأ الفراغ الواقع الهائل ، فراغ الجيل الاسلامى الجديد ، الراسخ فى عقيدته ، القوى فى إيمانه ، العارف لرسالته و دوره فى قيادة المدنية ، الواسع فى ثقافتـــه ، المرن فى تفكيره ، الآخذ من الثقافة الجديدة محاسنها و لبابها ، المتجنب عن شرورها و فشوّها ، الأصيل فى إنتاجـــه ، الجيل المرتقب الذى كان يتطلع إليـــه العالم الاسلامى — و لا يزال — فى لهف شديد و صبر نافد ، الجيل الذى كان يستطيع بتوفيق الله تعالى أن ينقذ العالم الاسلامى من الحيرة التى كان يتورط فيهـا ، و من الضعف الذى قد تسلط عليه ، و يمنحه مركزاً رئيسياً فى قيادة الأمم ، و توجيه المدنية .

أكبر الاله آبادى

الشاعر الثائر : وقد حارب هذه النزعة التطبيقية التقليدية ـ التى يقودها السيد أحمد خان ـ حربا لاهوادة فيها معاصر مثقف ثقافة قديمة و جديدة ، يعتبر من أكبر شعراء عصره ، و هو السيد أكبر حسين (١) الاله آبادى ، المتلقب فى شعره بـ « أكبر »

---

١ ـ هو السيد أكبر حسين بن تفضل حسين ، ولد فى سنة ١٢٦٢هـ (١٨٤٦ م) فى مديرية الهآباد و تلقى الثقافة الاسلامية و درس اللغة الانجليزية ، و اجتاز فى سنة ١٢٨٤ هـ امتحانا فى الحقوق ، و تولى القضاء ، و تنقل فى الوظائف القضائية ، إلى أن أحيل إلى المعاش سنة ١٣٢٠ (١٩٠٣ م) و لقبتـــه الحكومة الانجليزية بلقب « خان بهادر » (يساوى بك فى المجتمع المصرى) و لقبه الشعب الهندى بلقب « لسان العصر » ، فغلب لقب ـــ

و استخدم لنقدها و الانكار على هذا الجيل المثقف الجديد أسلوب الفكاهـــة الحلوة ، و الأدب الخفيف الروح من أبلغ الأساليب الأدبية و اقواها ، و أجلها فى هذا العصر و جعل ذلك موضوع شعره طول حياته ، ينتقد سياسة السيد أحمد خان ـ الذى يعترف باخلاصـه ـ التعليمية و ما كان يدعو إليـــه من تقليد الغرب و تطبيق مناهج حياته ، و ينتقد الحياة السائدة فى الكلية الاسلامية ، و ما تتسم به من تقليد أعمى للغرب ، و تساهل فى العقيـــدة ، و رقة فى الدين ، و تبذير فى الأموال ، و تأنق فى المظاهر ، و نفور عن الدين و رجاله ، و نهـامـــة للحياة ، و تهالك على الوظائف الرسمية ، و تخل عن التراث الشرقى القديم ، و عن تقاليده و مبـادئه ، و ثورة عليهـا ، و اندماج فى المجتمع الغربى الغريب ، و سيطرة التفكير المادى الاقتصادى المحض ، و يصور ـــ بشاعريته الساحرة و ريشته البارعة ـــ الجيل الجديد ، تصويراً دقيقاً ، واضح القسمات و الملامح .

ـــ الشعب لقب الدولة الرسمى .

وكان ـــ رغم ثقافته الحديثة العميقة ـــ ديناً محـافظاً سليم العقيدة ، قال فى الليـــلة التى توفى فيهـا ، « ما فاتتنى فريضة ، و لا غفلت عن حزبى فى الليل ، و لا انصرفت عن تلاوة القرآن طول عمرى » توفى رحمه الله سنـة ١٣٤٠ ـ ١٩٢١ م ، و من آثاره ثلاثة دواوين شعرية ضخام تلقتها الأوساط الأدبية و الاسلامية بالقبول و الاستحسـان ، و شهد له كبار الأدباء و الشعراء ـــ منهم العلامة محمد إقبال ـــ بالاجادة ، و إنه إمام فى الشعر الفكاهى الاصلاحى فى اردو .

وقد انتشر هذاالشعر فىالأوساط الهندية علىاختلاف طبقاتها و اتجاهاتها انتشاراً عجيباً ، و تلقفه الأدبا و الكتاب و الشباب و رددوه ترديداً لم يعرف لشعر آخر منذ زمن طويل ، و على نجاح هذا الشعر و تأثيره فى تحريك عاطفة الكراهة والازدراء و التخفيف من غلواء هذه النزعة التقليدية و قيمة هذه الحضارة ، لم يستطع بطبيعة الحال أن يحدث ثورة فى المجتمع و يقف تيار التقليد الجارف ، و يؤسس مجتمعا جديداً لأن الأدب المؤسس على التهكم و التنادر تأثيره و أجله محدودان ، و لكنه لم يخل من الفائدة ، و كان من عوامل الاتجاهات الأدبية الاجتماعية الجديدة فى الهند (١) .

الحركة الوطنية ومقاطعة البضائع الاجنبية : كان هذا الاتجاه التقليدى فى الهند — الذى قاده السيد أحمد خان فى المسلمين و غذته الحكومة الانجليزية و نظام المعارف — فى الطبقة المثقفة ، حراً فى سيره لا يعوقه شئ ، و لا يخفف من حدته إلاهدوء الطبيعة الهندية ، و اعتدالها فى قبول كل جديد ، و تمسكها بالقديم و بالبساطة ، إلا أنه كان جديراً كل الجدارة بأن يكون الاتجاه العام السائد على البلاد على مر الأيام ، و يجعل من الهند الشرقية مجتمعاً غربياً

---

١ ـ للمؤلف مقالة مسهبة نشرت فى مجلة الفتح المصرية ، مجلد العام التاسع ١٣٥٤ هـ ، عدد ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، و مجلة « الضياء » الصادرة من لكهنؤ الهند .

فى تفكيره و أساليب حياته ، و فى حضارته و إجتماعه ، و لكن حادثا حال دون ذلك ، و غير اتجاه التاريخ .

حدث ما يضعف سلطان الحكومة الانجليزية — التى تتزعم هذه الحضارة فى الهند — فى النفوس و العقول ، و يثير الشك فى قيمة هذه الحضارة و جدارتها للقيادة و استعدادها للانصاف و تحقيق العدالة الاجتماعية ، و ما يثير السخط الشديد و الكراهة العميقة لزعماء هذه الحضارة و ممثليها فى الشرق ، و ما يحرك الشعور القوى بالشخصية و بالكرامة فى أهل البلاد ، و يحمل على مقاطعة هذه الحكومة و كل ما يعزى إليها من حضارة و مظاهر و شعائر ، و كل ما يمون حركتها التجارية و الاقتصادية ويغذيها، ذلك نشوب الحرب العالمية الأولى (سنة ١٩١٤ - ١٩١٨ م) و وقوف الحكومة البريطانية - مع حلفائها - الموقف المعادى من الدولة العثمانية التى ينظر إليها المسلمون فى الهند — كغيرهم فى البلاد الاسلامية — كرمز للمجد الاسلامى ، و موئل للخلافة ، وحامية للاسلام ، و لما تمت الهزيمة للاتراك فى ١٩١٨ م ، و استولى الانجليز على الآستانة ، و توزع الحلفاء ممتلكات الدولة العثمانية انفجر بركان الثورة فى الهند ، و تعاون المسلمون و الهندوس فى حركة الخلافة بشكل عام ، و كان غاندى — الزعيم الهندى الشهير — فى جبهة القيادة مع زملائه محمد على وشوكت على و أبى الكلام آزاد و اقترحوا سنة ١٩٢٠ م مقاطعة الحكومة

و الإضراب عن التعاون معها ، فى إدارة الحكومة و جميع مجالات الحياة و مقاطعة البضائع الأجنبية ، فكان أمضى سلاح سلمى استخدمته حركة وطنية ، و انطلقت موجة عنيفة من السخط الشديد اكتسحت البلاد ، تحمل معها الدعوة إلى مقاطعة البضائع الأجنبية و التخلى عن مظاهر الحضارة الأجنبية المستعمرة ، و الظهور فى المظهر الوطنى الشعبى ، و التمسك بالبساطة و التقشف فى الحياة ، و الاقتصار على المنتجات الوطنية ، و كانت أعظم و أعنف حركة شاهدتها البلاد ، و كانت البلاد كلها — من أقصى حدودها إلى أقصى حدودها — شعلة نار ، و قد هزت سيطرة الحضارة الغربية فى أعماق النفوس ، و اقتلعت جذورها و عروقها من قلوب لا يحصيها كثرة إلا الله ، و أشعل الناس النيران فى ملابسهم الغربية ، و القماش الوارد من الخارج — من انجلترا طبعاً — فى جموع حاشدة ، و حفلات كبيرة ، و رفض كبار الأغنياء و المثقفين ، و رجال الطبقة الارستقراطية ، عيشتهم الغربية الباذخة ، و تقشفوا و آثروا الحياة البسيطة الوطنية ، و حدث انقلاب عظيم فى حياة الكثيرين ، من كبار المحامين و التجار و الموسرين ، فقد ملأوا السجون ، و تحملوا المشاق ، و بدا منهم من الايثار ، و الزهد و القناعة ، و قوة العاطفة الدينية ، و الوطنية و المواساة للفقراء و المحافظة على الشعائر الدينية ، ما لم يكن يتوقع من أمثالهم قبل ظهور هذه الحركة .

و تلت هذه الحركة التى كان طابعها دينيا ، الحركة الوطنية الهندية العامة ، التى ترمى إلى تحرير البلاد ، و طرد الاستعماد ، و إقامة الحكم الذاتى ، و كانت — بخلاف كثير من الحركات السياسية فى الشرق — حركة سياسية اجتماعية ذات فلسفة فكرية واقتصادية، فلعبت دورها فى إضعاف سلطان هـذه الحضارة التى جاءت مع المستعمر فى تدعيم الشعور الوطنى ، و ايثار كل ما هو أصيل و عريق فى طبيعتـه الهندية و بيئته الوطنية ، على المستورد الأجنبى، و لاشك أن هذه الحركات السياسية استطاعت أن تفعل — من محاربة مركب النقص ، و من إثارة الاعتداد بالكرامة والتخلص من الاستعمار الفكرى و الثقافى — ما لا تستطيعـه الفلسفات العلمية الكبيرة ، و ذلك شأن الحركات العملية الشعبية ، التى تتغلغل فى أجزاء المجتمع و تسيطر على تفكيره دائماً فى كل بلد .

محمد إقبال و نقده للحضارة الغربيـة :

و قد بدأ الشبـاب الاسلامى الذكى فى فجر القرن العشرين يتوسعون فى الدراسات الغربية ، و يتعمقون فيها فى الجامعات الهندية الراقيـة ، و قد زالت عنهم دهشة الفتح و هيبة الانجليز ، و بدأت بعثات ثقافيـة ترحل إلى أوربا ، و يقيم عدد كبير منهم فى عواصمهـا إقامـة طويلة ، ينهلون من مناهلهـا الثقافية ، و يدرسون العلوم العصرية بدقة و إتقان ، تحت إشراف أساتذة كبار أحرار ، و يعرفون الحضارة الغربية عن كثب لا عن

كتب ، بل يخوضون فيها ، و يسبرون غورها ، و يعجمون عودها كأى شباب غربى مثقف من أبناء البلد ، و يدرسون الفلسفات و النظم و المدارس الفكرية ، و يطلعون على دخائلها و أسرارها ، و على الطبيعة الغربية المادية ، و النخوة القومية الأوربية ، و الأثره الشعبية فى نفوس هذه الشعوب ، و يرون جوانب الضعف و بوادر الافلاس و طلائع الانهيار فى المجتمع الغربى ، و يلاحظون العناصر الصالحة البناءة ، المسعدة للبشرية ، المفقودة فى تركيب هذه الحضارة ، و فى طبيعة زعمائها و حملة لوائها ، و عناصر الفساد الهدامة المدمرة للدنية ، المضللة للبشرية الموجودة فى عجينها ، المركبة مع طينها من اليوم الأول ، فيثير كل ذلك فى نفوسهم و عقولهم معانى و أحاسيس لم تكن ممكنة إلا مع الاقامة الطويلة فى أوربا ، و التعمق فى فلسفاتها وأفكارها والدراسة المقارنة ، و إلا مع النظر العميق الجرئ ، و التحرر من ربقة التقليد ، وإلا مع الايمان الذى لم يتجردوا عنه ، بل بقى جمرة فى رماد مستعدة للالتهاب فى كل وقت ، فيرجع كثير منهم يائساً من مستقبل الحضارة الغربية ثائراً عليها ، ناقداً نقداً جريئاً عميقاً متزنا ، لاتطرف فيه و لاانكار للواقع و لا مكابرة فى الحقائق .

لقد كان فى مقدمة هولاء الناقدين الثائرين محمد إقبال (١)

---

١ - ولد محمد إقبال بن نور محمد فى « سيالكوت » مدينة فى مقاطعة پنجاب سنة ١٨٧٧ م ، انضم إلى كلية الحكومة فى لاهور حيث حضر الامتحان الأخير فى الفلسفة —

الذى يعتبر بحق انبغ عقل أنتجته الثقافة الجديدة التى ظلت تشتغل و تنتج فى العـــالم الاسلامى من قرن كامل ، و أعمق مفكـر أوجده الشرق فى عصرنا الحـاضر ، و لم نر من نوابغ الشرق و أذكيائه — على كثرة من أم الغرب منهم و درس هنـاك — أحداً نظر فى الحضارة الغربية هذا النظر العميق و انتقدها هـــذا الانتقاد الجرئ .

إن محمد إقبال قد لاحظ جوانب الضعف الأساسية فى هذه الحضارة و تركيبهـا ، و الفساد الذى عجنت به طينتها لاتجاهها

— و أخذ درجة ما جستر (M. A.) فى الفلسفة بامتياز ، و عين استـاذاً للفلسفـــة و الانجليزية فى نفس الكلية ، و سافر إلى لندن سنة ١٩٠٥م حيث التحق بجامعة كمبردج و أخذ شهادة عالية فى الفلسفة و علم الاقتصاد و سافر إلى ألمانيـا و أخذ من جامعـــة ميونخ الدكتوراة فى الفلسفة ، ثم رجع إلى لندن ، و حضر الامتحان النهائى فى الحقوق و انتسب إلى مدرسة علم الاقتصاد و السياسة فى لندن و تخصص فى المـادتين ، و ألقى عدة محاضرات فى مدراس ، و أخرى فى جامعة كمبردج ، و قد اعتنى بهـذه المحاضرات المستشرقون و علماء الفلسفة و الدين عناءاً عظيما ، و ترجم أكثر كـتبه إلى لانـكليزية و الفرنسية و الألمانية و الطليانيه و الروسية ، و انتخب رئيساً للرابطة الاسلاميه سنـة ١٩٣٠ م و انتخب عضواً فى المجلس التشريعى فى بنجاب ، و عرض فى خطبته فكرة باكستان لأول مرة ، و مثل « مؤتمر المسلمين » فى مؤتمر المائدة المستديرة سنة ١٩٣١ — ١٩٣٢ ، و أقامت له جامعة أرسطو ، جامعة روما ، جامعة السوربون ، و جامعـــة مجريط و المجمع الملكى فى روما حفلات تكريم ، توفى فى ٢١ ابريل سنـــة ١٩٣٨ و شيعت جنازته فى حشد كبير قلما شهد مثله ، ورثاه و أبنـه كبـار الزعماء و قادة الفـكر ، و رؤساء الحكومات ، له سبعة دواوين فى الفارسية ، و ثلاثة فى اردو ، و محـاضرات فى الانجليزية .

المادى . و ثورة أصحابها على الديانات ، و القيم الخلقية و الروحية عند نهضتها . و علل فساد القلب و الفكر الذى اتسمت به هذه الحضارة بكون روح هذه المدنية ملوثة غير عفيفة (١) ، « و قد جردها تلوث الروح عن الضمير الطاهر ، و الفكر السامى و و الذوق السليم ، و تسلط عليها — رغم المدنية الباذخة ، و الحكومات الواسعة ، و التجارة الرابحة — القلق الدائم ، لقد أظلم الجو فى عواصمها بدخان المصانع المتصاعد الكثيف ، ولكن بيئتها — على كثرة أنوارها — غير متهيأة لفتح جديد فى الفكر و إشراق من عالم الغيب ، إنها حضارة شابة — بحداثة سنها ، و الحيوية الكامنة فيها — و لكنها محتضرة تعانى سكرات الموت، و إن لم تمت حتف أنفها فستنتحر و تقتل نفسها بخنجرها ، و لا غرابة فى ذلك فان كل و كر يقوم على غصن ضعيف ليس له استقرار ، و لا يستغرب أن يرث تراثها الدينى و يدير كنائسها اليهود (٢) ، إن أساس هذه الحضارة ضعيف منهار ، و جدرانها من زجاج لا تحتمل صدمة (٣) ، ان الفكر المارد الذى أزاح الستار عن قوى الطبيعة أصبح بجموحه يهدد وكر الغربيين و مهدهم ، إن العصر يتمخض عن عالم جديد ، و

---

١ - ضرب كليم ص ٦٩ .
٢ - ايضاً ص ١٤١ يشير إلى نفوذهم الزائد وثقة أوربا النصرانية بهم .
٣ - بال جبريل .

ان العالم القديم الذى حوله الغربيون مكان القمار (الذى كان يقامر فيه بأ من العالم و كرامة الأمم) يلفظ نفسه ، إن نور هذه الحضارة باهر ، و شعلة حياتها ملتهبة وهاجة ، و لكن لم يكن فى ربوعها من يمثل دور موسى فيتاقى الالهام ، و يتشرف بالكلام ، و لا من يمثل دور إبراهيم فيحطم الأصنام و يحول النار إلى برد و سلام (١) ، إن عقلها الجرئ يغير على ثروة الحب وينمو على حساب العاطفة (٢) ، إن عماليقها و ثوارها قد طغى عليهم التقليد فلا يخرجون — حتى فى ابتكارهم و ثورتهم — عن الطريق المرسوم و الدائرة المحدودة »

« لقد تضخم العلم و تقدمت الصناعة فى أوربا ، و لكنها بحر الظلمات ليست فيه عين الحياة ، إن أبنية مصارفها تفوق أبنية الكنائس فى جمال البناء ، و حسن المظهر و النظافة ، إن تجارتها قمار يربح فيه واحد و يخسر ملايين ، إن هذا العلم و الحكمة و السياسة و الحكومة التى تتبجح به أوربا ليست إلا مظاهر جوفاء ليست وراءها حقيقة ، إن قادتها يمتصون دماء الشعوب و يلقون درس المساواة الانسانية و العدالة الاجتماعية ، إن البطالة و العرى و شرب الخمر و الفقر هى فتوح المدنية الأفرنجية ، إن الأمة التى لا نصيب لها فى التوجيه السماوى و التنزيل الالهى غاية

---

١ ـ پيام مشرق ، ص ٢٤٨ يعنى أن أوربا لم تكن أرض النبوة و الانبياء من الزمن القديم و لم يكن فيها اشراق روحانى إنما ازدهرت فيها الماديات . (٢) ايضاً .

نبوغها تسخير الكهرباء و البخار ، إن المدنية التى تتحكم فيها الآلات ، و تسيطر فيها الصناعة تموت فيها القلوب ، و يقتل فيها الحنان و الوفاء ، و المعانى الانسانية الكريمة (١) »

و قد كان انتقاده و استعراضه للحضارة الغربية و أسسها و مناهج تفكيرها فى محاضراته العلميـــة التى ألقاها فى مدراس و نشرت بعنوان « تجديد الفكر الدينى فى الاســـلام (٢) » أعمق و أكثر تركيزاً بطبيعة الحال ، لأن جو البحوث الفلسفية غير جو الشعر و الأدب ، فقال وهو يتحدث عن طبيعة الحضارة المادية فى الغرب و الانسان المعاصر الذى يمثلها و يتزعمها ، و عن الأزمة و المشكلات التى يعانيها :

« الرجل العصرى بماله من فلسفات نقدية ، و تخصص علمى يجد نفسه فى ورطة ، فمذهبه الطبيعى قد جعل له سلطانا على قوى الطبيعة ، لم يسبق إليه ، لكنه قد سلبه إيمانه فى مصيره هو(٣) »

« الانسان العصرى و قد أعشاه نشاطه العقلى ، كف عن توجيه روحه إلى الحياة الروحانية الكاملة ، أى إلى حياة روحية تتغلغل فى أعماق النفس ، و هو فى حلبة الفكر فى صراع صريح مع نفسه ، و هو فى مضمار الحياة الاقتصادية و السياســـة فى

---

١ ـ بال جبريل .

2 - Reconstruction of Islamic Thought in Islam.

٣ ـ المصدر المـــذكور ترجمة عباس محمود ص ٢١٤ .

كفاح صريح مع غيره ، و هو يجد نفسه غير قادر على كبح أثرته الجارفة ، و حبه للمال حباً طاغياً ، يقتل كل ما فيه من نضال سام شيئاً فشيئاً ، و لا يعود عليه منه إلا تعب الحياة ، و قد استغرق فى « الواقع » أى فى مصدر الحس الظاهر للعيان ، فأصبح مقطوع الصلات بأعماق وجوده ، تلك الأعماق التى لم يسبر غورها بعد . و أخف الأضرار التى أعقبت فلسفته المادية ، هى ذلك الشلل الذى اعترى نشاطه ، و الذى أدركه هكسلى (Huxley) و أعلن سخطه عليه (١) »

« و الاشتراكية الملحدة الحديثة — و لها كل ما للدين الجديد من حمية و حرارة — لها نظرة أوسع أفقاً لكنها قد استمدت أساسها الفلسفى من المتطرفين من أصحاب مذهب هيجل (Hegel) و قد أعلنت العصبيات على ذات المصدر الذى كان يمكن أن يمدها بالقوة و الهدف ، و هى « إذن ليست » بقادرة على أن تشفى علل الانسانية (٢) »

و محمد إقبال يصف هذا المجتمع — الأوربى — بمجتمع يحركه تنافس وحشى و هذه الحضارة بحضارة فقدت وحدتها الروحية بما انطوت عليه من صراع بين القيم الدينية ، و القيم السياسية (٣) .

---

١ ـ المصدر السابق ص ٢١٥ — ٢١٦ .

٢ ـ ايضاً ص ٢١٦ — ٢١٧ . (٣) ايضاً ص ٢١٧ .

و ينظر محمد إقبال — ككل مطلع خبير — إلى الرأسمالية و الشيوعية كفرعين من دوحة المادية و أسرتين للحضارة الغربية ، إحداهما شرقية ، و الأخرى غربية ، تلتقيان على النسب المادى ، و التفكير المادى ، و النظر المحدود إلى الانسان ، و يقول بلسان السيد جمال الدين الأفغانى — فى رحلة فكرية تخيلها و اجتمع به فيها — « إن الغربيين فقدوا القيم الروحية و الحقائق الغيبية ، و ذهبوا يبحثون عن الروح فى « المعدة » إن الروح ليست قوتها و حياتها من الجسم و لكن الشيوعية لا شأن لها إلا « بالمعدة و البطن » و ديانة « ماركس » مؤسسة على مساواة البطون ، إن الأخوة الانسانية لا تقوم على وحدة الأجسام و البطون ، إنما تقوم على محبة القلوب ، و ألفة النفوس (١) »

« إن الملوكية و الشيوعية تلتقيان على الشره و النهامة ، و القلق و السآمة ، و الجهل بالله و الخداع للانسانية ، الحياة عند الشيوعية « خروج » و عند الملوكية « خراج » و الانسان البائس بين هذين الحجرين قارورة زجاج ، إن الشيوعية تقضى على العلم و الدين و الفن ، و الملوكية تنزع الروح من أجسام الأحياء وتسلب القوت من أيدى العاملين والفقراء ، لقد رأيت كلتيهما غارقتين فى المادة ، جسمهما قوى ناضر ، و قلبهما مظلم فاجر (٢) »

---

١ ـ جاويد نامه ، ماخوذ من « روائع اقبال » للمؤلف ، ص ١١٣ — ١١٤

٢ ـ ايضاً .

الحضـارة الغربيـــة والاقطار الاسلامية : و يعتقد محمد إقبال أن هذه الحضارة غير قادرة على إسعاد البلاد الاسلامية ، و إعادة الحياة إليها ، يقول : « إن الحضـارة التى قد أشرفت على الموت لا تستطيع أن تحيى غيرها (١) ، و قد جزت من إحسان هذه البلاد الشرقيـة إساءة من جانبها ، و كافأت خيرها بشر ، فقد منحها الشام نبياً(٢) رسالته العفة و المواساة و الرحمة ، و مقابلة الشر بالخير ، والظلم بالعفو ، و قد منحتـــه أوربا — بدورها و مقـابل كل ذلك — الخمر و القمار ، و الفجور و هجوم المؤمسات (٣) »

نقده لدعاة التجديد فى الشـــرق : إنه يسيئ الظن بدعاة التجديد — و بالأصح التغريب — فى الأقطار الاسلامية ، و يخشى أن تكون الدعوة إلى التجديد حيلة و ستاراً لتقليد الأفرنج (٤) ، يقول : « إننى يائس من زعماء التجديد فى الشرق ، فقد حضروا فى نادى الشرق بأكواب فارغة ، و بضاعة مزجاة فى العلم و الفكر »

« إن البحث عن « برق جديد » فى هـذا السحاب عبث و إضاعة وقت ، فقد تجرد هذا السحاب الجهام عن البرق القديم ،

---

١ ـ ضرب كليم ص ٦٨ .
٢ ـ يشير إلى سيدنا عيسى عليه السلام .
٣ ـ ضرب كليم ص ١٥٠
٤ ـ ايضاً ص ١٧٠ .

فضلا عن البرق الجديد (١) »

إنه يعارض التقليد الأعمى فى أمـــة من الأمم ، و لا سيما الأمـــة التى خلقت لقيادة الأمم و إحداث الثورة فى العالم ، و يقول : « إن الذى يأتى بالجديد فى هذا العـالم الذى يتجدد دائماً هو نقطـــة الدائرة التى يطوف حولها الزمان ، لا تعطل شخصيتك — أيها المسلم — بالتقليد الأعمى ، و احتفظ بكرامتك فانها الجوهر الفرد ، إن التجديد (بمعنى التغريب) لا يليق إلا بأمة لا تفكر إلا فى الدعة و الترف (٢) »

إنه يعاتب الأمم الشرقية الاسلامية التى كانت دورها دور التوجيه و القيادة ، و أصبحت تمثل دور التلمذة الخاشعـــة ، و التقليـــد الذليل ، يقول — و كأنه يشير إلى الشعب التركى الاسلامى و من كان على شاكلتـــه — إن أولئك الذين كانوا يستطيعون أن يقودوا عصرهم أصبحوا بسخافتهم يقلدونه و يمشون وراءه (٣) »

إيمانه بفضل الحضارة الاسلامية و حيويتها : إنه شديد الايمان بما تضمره الحضارة الاسلامية و الشريعة الاسلامية من حيوية خالدة و قوة دافقة ،

---

١ - ضرب كليم ص ٦٩ ، يشير إلى أن هولاء المصلحين ثقافتهم القديمـــة و ثقافتهم الجديدة ضعيفتان محدودتان ، ليس لهم فى إحداهما كعب عال و لا باع طويل

٢ - ضرب كليم ١٧٠ .

٣ - بال جبريل .

و إمكانيات واسعة لتكوين عالم جديد ، و تأسيس مجتمع جديد، يقول فى خطبته التى ألقاها رئيساً لمؤتمر الأحزاب الاسلامية فى دهلى سنة ١٩٣٣ م مخاطباً للمسلمين .

« إن الدين الذى تحملون رأيته يقرر قيمة الفرد ، و يربيه تربية تجعله يبذل كل ما عنده فى سبيل الله ، و فى صالح عباده إن مضمرات هذا الدين القيم و كوامنه لم تنته بعد ، إن فى استطاعته أن يوجد عالماً جديداً يجبى فيه الفقراء الأغنياء لا يقوم فيه المجتمع البشرى على مساواة البطون ، بل يقوم على مساواة الأرواح »

المعمل الاسلامى الجديد : و لذلك كان يعتقد — بكل إخلاص و حماسة — أنه لابد من وجود رقعة حرة تقوم فيها عملية الحياة الاسلامية ، بجميع نواحيها و شعبها ، و تتجلى فيها عبقرية الشريعة الاسلامية ، و عدل النظام الاسلامى ، و تستطيع فيها الطريقة الاسلامية فى الحياة أن تعبر عن نفسها تعبيراً عملياً و ثقافياً ، و لما كانت الهند — كما قال فى خطبة رئاسته للعصبة الاسلامية سنة ١٩٣٠ م — قطراً تسكن فيه جالية تكون أكبر مجموعة إسلامية فى بلد واحد ، كانت أحق بتقديم هذه التجربة و بتكوين هذا المركز الاسلامى و بتعبير أدق المعمل الذى يثبت فيه الاسلام صلاحيته لتكوين المجتمع الصالح ، و تنظيم الحياة الاجتماعية ، و حل المشكلات الاقتصادية ، و توجيه المدنية توجيهاً صالحاً ،

و التطبيق بين العقيدة و العمل و الروح و المادة ، و الفرد و الجماعة تطبيقاً يثير العجب و الإعجاب ، و يحمل قادة الأقطار الاسلامية على التقليد و يحمل المفكرين فى العالم على التفكير من أسلوب جديد .

كان هذا النظر البعيد ، و هذا الطموح الذى لم يعرف نظيره فى العالم الاسلامى ، أساس مملكة باكستان ، و قد تحقق هذا الحلم البعيد فى سنة ١٩٤٧ م و قامت دولة باكستان ، وقد اعترف الزعيم محمد على جناح بهذا الأساس الفكرى الذى قرره محمد إقبال و تغنى به . فقال فى أول خطبة خطبها بعد قيام باكستان :

« لقد أصبحت باكستان التى كافحنا فى سبيلها عشر سنين كوامل حقيقة ملموسة ، و لكن يجب أن لا ننسى أن قيام مملكتنا الحرة ليست غاية ، إنما هى وسيلة ، إن الغاية و الهدف النهائى قيام مملكة نعيش فيها أحراراً ، و نتقدم بها وفق طبيعتنا الخاصة و ثقافتنا . و تنفذ فيها مبادئ العدالة الاجتماعية فى الاسلام بحرية »

و لكن هذه العملية — التى لا تساويها عملية فى الضخامة و الدقة والخطورة و بعد النتائج — لا تقوم و لاتتحقق إلا على أيدى القادة الذين يؤمنون بخلود الشريعة الاسلامية وفضل الحضارة الاسلامية إيمانا لايشوبه شك ، و يخلصون لها إخلاصاً لا يشوبه نفاق ، و يتحررن من ربقة الحضارة الغربية ، و الايمان بقيمها و أسسها ،

و من رق الثقافة الأجنبية تحرراً كاملا ، و يجمعون — على الأقل — بين الايمان الراسخ و الشجاعة الخلقية ، و المقدرة على استخدام الوسائل و الطاقات التى أحدثتها العلوم الحديثة ، و تكييفها للمجتمع الاسلامى الحر .

العملية فى الامتحان : و لكن هذه العملية — التى قفزت إلى الوجود لأسباب تاريخية و سياسية و فاجأت العالم المعاصر — لم تجد فرصة تهيئة هذا الجيل و إعداد هذه القيادة ، و قد عجز نظام المعارف الغربى السائد فى الأقطار الشرقية ، وعجزت الجامعات الغربية التى تاقى فيها هولاء السادة ثقافتهم عن أن تنتج أحسن منهم فى عامة الأحوال ، و عن أن تنتج غير هذا الطراز من التفكير ، و غير هذا الأسلوب من الحياة . و الشجرة لاتلام على ثمرتها الطبعية ، و لا يرجى تغيير هذا الوضع ، و وجود القيادة التى تحقق هذه العملية حتى يغير نظام المعارف و نظام التثقيف و التربية فى هذه البلاد ، و يمنح الاسلام و المجتمع الاسلامى حق تخريج و اختيار من يتولى قيادته و يقرر مصيره مطابقاً لعقيدته و فطرته ، و آماله و حاجاته ، و هو حق طبعى لكل شعب و لكل مجتمع ، لا يجوز جحوده فى أى عصر و فى أى مكان .

أهمية الدور الذى تمثله

مصر فى العالم الاسلامى : وكانت مصر — منذ عهد الخديو محمد على باشا و جلاء الفرنسيين — فى ١٧٩٩ م المجال الثالث الرئيسى

الذى ظهر فيـــه صراع الشرق و الغرب ، الفكرى و الثقـافى و الحضارى و الاجتماعى فى أبرز مظاهره و أقواهـا ، فقد بذرت الحملة الفرنسية و بقاء إدارتها و قيادتها للأمور مدة (١) — قصيرة بحساب الشهور ، طويلة بحساب التأثير و النفوذ — بذوراً عميقـــة فى التربة المصرية ، و العقلية الاسلامية العربية ، و احتك الشرق بالغرب فى أرض مصر احتكاكا مباشراً ، و وصل — بين الشرق و الغرب — بعثات علمية و ثقافية عنى بإرسالها الخديو للاستفادة من الغرب و نظمه و علومه ، و للتقدم بمصر فى مضمار العلم و الصناعة و الفنون و الإدارة ، حملت إلى مصر ثمرات الثقافة الغربية ، ثم انشئت ترعـة السويس — فى عهد إسماعيل — تصل بين البحر الأحمر و البحر الأبيض المتوسط فتحدث انقلابا فى تاريخ السياسة و التجارة العالمـــية ، و ترفع الفجوة بين العالمين الغربى و الشرقى و تسهل مهمة اللقاء و الالتقاء .

و كانت مصر بخصائصها الكثيرة التى لايشاركها فيهـا أحد جديرة بأن تكون متلقى يلتقى فيه ما فاقت فيـه أوربا — بجهدها و كفاحها — من العلوم التطبيقية ، و الوسائل الحديثـــة ، و ما خص الله به الشرق الاسلامى من علم و يقين و أسس صالحـــة خالدة للحياة السعيدة ، ومحركات و دوافع قوية نبيلة لا تنبثق إلا من العقيدة القوية و القلب الفائض بالايمـان و الحب ، و كانت

---

١ - و هى مدة سبعة أشهر ٢٤ يوليو ١٧٩٨ م - ١٠ فبراير ١٧٩٩ م .

مصر من أوفر البلاد نصيباً من هذه الثروة الكريمة و من أقدرها على توسيعها و توزيعها بفضل غناها فى اللغة العربيـــة و العلوم الدينيـــة ، و وسـائل الطبع و النشر ، و وجود الأزهر أكبر مركز ثقافى دينى فى العالم الاسلامى ، و بفضل مرونة العقل المصرى ، و قدرته القديمة على الأخذ والإعطاء ، والتأثر و التأثير ، و كانت جديرة بأن تضرب مثلا صالحاً للعالم الاسلامى وللاقطار الشرقية للتبادل الحر الشريف المؤسس على الشعور بالكرامة و الثقة بالشخصية ، و التمسك بالعقيدة فى جانب و روح السماحـــة و الانصاف ، و تقدير العلم و الحكمـــة ، و الترحيب بالصالح النافع فى جانب آخر ، التبادل الذى لايخسر فيه الميزان ولايطفف فيه الكيل .

الحاجة إلى قناة جديدة : لقد كان لمصر أن تنشئ قناة أفضل من قناة السويس ألف مرة ، و أعود منها على الشعوب الانسانيـــة بالخير و السعادة ، و أعمق منها تأثيراً فى اتجـاه العالم و مصير الشعوب و الأمم ، و أوسع تاثيراً فى التاريخ الانسانى ، هى قناة التعارف الصحيح المتبادل المتوازن بين الشرق و الغرب ، قناة تصل الشرق المتخلف فى العلوم الطبعيـة و الصناعات المفيدة بالغرب الذى قـــد بلغ الذروة فيها ، و تصل الغرب الحائر المتخم بقوته المادية ، المفلس فى الروح و الأخلاق ، اليائس المتشائم ، السالك فى سبيل الانتحار بمنـابع الرضا و الهدوء و الأمن العاطفى ،

و اللغة المتبادلة و الأمل القوى فى مستقبل الانسان ، الكامنة فى رسالات الشرق الدينية و الروحية التى يمثلها الاسلام فى شكلها الكامل النهائى . و تصل وسائل الغرب الهائلة الجبارة المكدسة التى لا تعرف غاية بغايات الشرق النبيلة الكريمة الرحيمة التى لا تملك وسيلة ، تصل الغرب الذى يستطيع و لا يريد ، بالشرق الذى يريد و لا يستطيع ، فيفيض كل واحد منهما على الآخر أفضل ما عنده ، و يتعاونان — تعاون الشقيقين — فى إسعاد البشرية ، و تهذيب المدنية ، هذه القناة الثقافية العقلية التى تعتبر — لو تحققت و ظهرت إلى الوجود — فتحاً جديداً فى العالم ، و مأثرة تاريخية تشغل أعظم مكان مشرف فى التاريخ الحديث ، و تكسب لمصر الزعامة الخالدة ، و أشرف مركز تطمح إليه القلوب والأبصار .

لقد كانت مصر جديرة باحتلال هذا المركز الخطير ، و تمثيل هذا الدور العظيم ، لو تهيأ لها — فى أول عهدها بالحضارة الغربية و الثقافة الأجنبية — إيمان قوى بخلود الرسالة الدينية التى أكرمها الله بها بالاسلام ، و شدة حاجة الانسانية إليها ، و العزم الصميم على الاخلاص لها ، و الاتصاف بصفاتها ، و التفانى فى سبيلها ، و الهضم الصحيح القوى للعلوم العصرية ، و تقوية نفسها بها و إخضاعها للدور الذى يجب أن تمثله فى العالم المعاصر ، و تهيأت لها شخصيات موجهة قوية .

موقف مصر التقليدى

الضعيـــف : و لـكن الظروف و الأوضاع السياسية والتعلمية قد صرفت مصر — زعيمـــة العالم العربى الاسلامى — عن تمثيل هذا الدور العظيم ، دور القيـادة و التوجيـه ، و دور التأثير فى العالم الغربى . و جعلتها تقف من العالم الغربى موقف التلميذ ، و موقف المقلد المقتبس ، و جعلت مهمـــة هذه القناة الثقافيـــة الفكرية مقصورة على الإستيراد فقط ، استيراداً لا تتجلى فيـــه شخصية مصر الاسلامية العربية و العقلية الناضجة الناقدة .

من أهم هذه الأوضاع التى اتجهت بها مصر هذا الاتجاه الضعيف الذى أساءت به مصر إلى نفسها ، و إلى العـــالم العربى الذى تولت زعامته و قيادته ، الوضع السياسى القاتم الذى كانت تعيش فيه مصر فى القرن التاسع عشر ، و يشاركها فيه العالم الاسلامى بصفة عامة ، عصر النفوذ الأجنبى و الاحتلال البريطانى الاحتلال المباشر ، أو غير المبـاشر ، فقد شغل هـــذا الوضع — الغير الطبيعى — تفكير قادة الفكر فى العالم الاسلامى ، و استنفد جهودهم و مواهبهم ، و لم يدع لهم مجـــالا فى التفكير و لا سعة فى الوقت ، و لا فضلا فى الذكاء .

السيد جمال الدين الافغانى

و انقطاعه إلى السياسة : كان السيد جمال الدين الأفغـانى ، أنبغ عقلية و أقوى شخصية عرفت الغرب دراسـة و سياحـــة ،

و ثقافة و سياسة ، و أقدر نوابغ الشرق على مواجهة حضارة الغرب و فلسفاته المادية و نقدها ، و صيانة الشرق من سيطرتها و سلطانها الفكرى ، و منعه من الانجراف الذى تفقده شخصيته و رسالته ، و كتابه الصغير الذى وضعه فى الرد على الدهريين ، يدل على سعة دراسته و عمق تفكيره و قوة شخصيته ، و لم يكن الدكتور محمد إقبال مبالغاً إذ قال :

« إن جمال الدين كان انسانا له نظرة عميقة فى تاريخ الفكر الاسلامى ، و الحياة الاسلامية ، لذلك لو ركز قوته الذهنية فى خدمة الاسلام كنظام للتوجيه الانسانى والحياة الاعتقادية للانسان ، لوجد العالم الاسلامى اليوم على أساس أقوى بكثير (١) »

و لكن وضع العالم الاسلامى بصفة عامة و وضع مصر — التى قضى فيها جمال الدين أفضل أيام حياته و أكثرها انتاجا، و اتخذها مركز نشاطه العقلى — و الطبيعة التى خلقه الله عليها من الذهن الوقاد و الذكاء الحاد ، و الحمية الاسلامية الثائرة ، و الأنفة الأفغانية المتهيجة ، كل ذلك منع جمال الدين عن التفكير فى غير إنهاض البلاد الاسلامية سياسة و تنظيما ، و إعادة الكرامة و القوة إليها ، و الربط بين أجزائها ، و إقصاء النفوذ الأجنبى عامة و النفوذ البريطانى — الذى اكتوى بناره فى بلاده و فى الهند و إيران و فى مصر — خاصة ، وطبع نشاطه وكفاحه

---

1 — The Modern Trends in Islam. P. 28-29.

بطابع السياسة ، و أصاب الدكتور محمد البهى إذ قال :

« (كان جمال الدين) ينتزع الأمثلة من تاريخ الشعوب و من تاريخ الأمة الاسلامية نفسها ، كما ينتزع الشواهد المحسوسة التى تفزع المسلمين من السياسة الإستعمارية فى البلاد الاسلامية (فى الهند و مصر على الخصوص) هذه الأمثلة التى كان ينتزعها من شواهد الحياة الاسلامية ، و مظاهرها فى وقته ، مع بيان مدى ألاعيب السلطات الأجنبية و دسائسها ، و هدفها الذى نهايته بسط النفوذ الأجنبى لصالح الجامعة الأوربية وحدها على رقعة العالم الاسلامى .

هذا الإحتكاك المباشر نفسه هو الذى أظهر حركة جمال الدين الأفغانى فى صورة حركة سياسية ، و هو نفسه السبب فى أن يلقى بمركز الثقل فى نشاطه على « الحرية السياسية » فى الشرق الاسلامى ، للمواطنين جميعاً مسلمين و مسيحيين (١) »

و خير من يحق له التعبير عن نفسية السيد جمال الدين و تلخيص دعوته هو تلميذه الشيخ محمد عبده ، و هو يقول :

« أما مقصده السياسى الذى قد وجه إليه كل أفكاره و أخذ على نفسه السعى إليه مدة حياته — و كل ما أصابه من البلاء أصابه فى سبيله — فهو إنهاض دولة إسلامية من ضعفها و تنبيهها للقيام على شئونها حتى تلحق الأمة بالأمم العزيزة ، و الدولة بالدول

---

١ ـ الفكر الاسلامى الحديث ص ٥٠

القوية ، فيعود للاسلام شأنه ، و للدين الحنيفى مجـــده ، و يدخل فى هـذا تقليص ظل بريطانيا فى الأقطار الشرقية (١) »

فضـــل حركة الســـيد

جمال الدين و مدرسته : لم تكن هذه الغاية الجسيمة و الأوضاع السياسية الجاثمة على الشرق لتدع لمثل السيد جمال الدين الأفغـانى — فى قوة عاطفته و حساسيته — حقلا آخر للنشاط و الانتاج ، و تدع يعمل عمـــلا ايجابياً بنـاءاً فى المجتمع الاسلامى ، و يقوم بدراسة عميقة تحليلية للحضارة الغربية ، و ما يحسن اقتباسـه منهـا و مالايحسن ، و بناء فكر اسلامى جديد يسـاير الزمان و يتغلب على نزعة تقليد الغرب .

و لكن دوره عظيم جداً فى رفع قيمـــة الدين و التمسك بالاسلام ، و الاعتماد على القرآن فى عيون النشء الجديد ، و فى إعادة الثقة بصلاحيـــة الاسلام لكل زمان و مكان ، إلى نفوس الشباب المثقف ، يستحق به أن يعتبر أبا الجيل الاسلامى الجديد ، و عظمته فى أنه حال بين الطبقة المثقفة الذكية فى مصر و غيرها ، و بين الالحاد والثورة على الدين ، و أخر أو بطاء سير النزعـــة العلمانية تغزو عقول المثقفين ، و تكون الأسـاس الفكرى و الميثاق القومى للحكومات الاسلامية ، أخرها مدة نصف قرن ، و هى مدة لا يستهان بها فى سير الحوادث و تيارها الجارف ، و

١ ـ زعماء الاصلاح فى العصر الحديث للدكتور أحمد امين ص ١٠٦

لو لا هو و تلميذه النابغة — الشيخ محمـــد عبده — اللذان أصبح حبهما و الانتصار لهما شعار المثقفين الأحرار فى الشرق الأوسط، لكان الإلحاد و التبرؤ من الدين أسرع و أوسع فى هذه الطبقـة التى لم تخضع قط فكريا لعلماء الدين على النمط القديم ، و قـــد صدق المستشرق الألمانى الكبير كارل برو كلمان إذ قال :

« مهما يكن من أمر فقـد كان الاسلام — و لا يزال — هو المهيمن على الحياة الدينية فى مصر ، و إنمـا يرجع الفضل فى ذلك — فى المحل الأول — إلى تأثير جمال الدين الأفغانى (١)، حركة « الإخوان »

و الخسارة بفقدانها : و لكن الحاجة إلى مواجهة حضارة الغرب وجها لوجـــه ، و نقدها النقد الجرئ الأصيل ، و الظهور أمام الغرب فى مظهر الداعى المهاجم كان يطلب دراسة أعمق ، وجهوداً أكثر ترابطاً و أكثر تركيزاً ، و معرفة بطبيعة الحضارة الغربية و تركيبها أدق، وحماسة فى الدعوة إلى الاسلام و نظمه ومناهجه أشد ، و تطلب موقفاً غير موقف الزعيم السياسى الذى و قفه جمال الدين ، و موقف المحامى المدافع عن الشريعة الاسلامية الذى وقفه الشيخ محمد عبده ، على إخلاصهما و عظمة شخصيتهما ، و ضخامة الفـائدة التى حصلت على أيديهما و أيدى تلاميذهما الفضلاء .

و قد كان فى حركة « الاخوان المسلمون » كبرى حركات

---

١ ـ جمال الدين الافغانى للاستاذ محمود أبورية ص ١٢ .

الشرق الأوسط الدينية و السياسية ، لو قدرلها أن تسير سيرها الطبيعى و تؤثر تأثيرها المطلوب و التف حولها الباحثون النوابغ و المفكرون الاسلاميون و رجال الاختصاص الفنى ، والدراسات الواسعة العميقة التى قد بدت طلائعها (١) أمل فى أن يتم مابدأه السيد جمال الدين الأفغانى و محمد عبده من عمل تحرير الفكر الاسلامى الشرقى من جمود القديم و من تقليد الغرب السخيف ، و تملأ الفراغ الفكرى فى الشرق و تنجح فى تأسيس المجتمع الاسلامى القوى المستقل فى شخصيته و فى تفكيره و فى وطنه ، و لكن طغيان الجانب السياسى العملى على رجال هذه الدعوة فى جهة و محاربة القوات المتجهة إلى « العلمانية » و المادية لها فى جهة أخرى قد حرمت العالم العربى — و العالم الاسلامى بدوره — ثمرات هذه الحركة الواسعة القوية التى كانت أقوى انتفاضة دينية و ثورة إسلامية فى العصر الحاضر ، و كان ذلك رزءاً و خسارة للعالم الاسلامى لا تعوض .

المتخرجون فى أوربا طلائع

الفكر الغربى فى العالم العربى : بدأ صفوة الأذكيا و خيرة الشباب يدرسون العلوم العصرية فى مصر ثم يؤمون عواصم الغرب و مراكز الثقافة العصرية الكبرى فى أوربا للتوسع فى الدراسات

---

٢ - فى كتاباب الاستاذ الشهيد عبد القادرعوده و سيد قطب و محمد الغزالى و سعيد رمضان و أضرابهم .

و التعمق فيها ، و يخوضون هناك فى لجة الحضارة الغربية و فى الأوساط العلميـة التى اعتـادت البحث العميق الدقيق ، و اعتادت الحرية الفكرية و الشجاعة الأدبية و عافت التقليد و الأخـذ بشئ على عواهنه ، فكان من المتوقع و من المعقول جداً أن يوجد فى هولاء الشباب الشرقيين الذين نشأوا فى مصر البلد الاسلامى و قرأوا القرآن — معجزة كل عصر — رجال يروعهـم ضعف أساس الحضارة الغربية و الفكرة الغربية و إسرافها فى المادية ، و تطرفها فى القومية و النظر المادى القاصر المحدود إلى الانسان ، و كل ما أنتجه و قام به من مظاهر العقل و الروح و البطولة ، و يثير ذلك فيهم النخوة الاسلامية و المعانى الانسانية الكريمة العميقة و يثير فيهم روح الاستنكار و التمرد على مثل الحضـارة الزائفة ، و يكون فيهم مفكر حر مثل محمد إقبـال و ثائرو داعية مثل محمد على (١) و كانوا أولى بذلك من هذين فقـد نشأ

---

١ ـ هو الزعيم الهندى المشهور محمد على بن عبد العلى ، ولد فى إمارة رام پور (فى المقاطعة الشمالية الغربية) سنة ١٨٧٨ م و نشأيتيما فى حضانة أمه القوية النفس و الهمة ، و التحقق بمدرسة بريلى الثانوية ، ثم انتقل إلى كلية عليكره الاسلامية ، و تخرج فيها فى سنة ١٨٩٦ م ، و سافر إلى انجلترا و انتسب إلى جامعة أوكسفورد حيث نال شهادة فى الليسانس (B. A.) بامتياز و فاق فى الأدب الانجليزى ، و احتوى على ثروته الأدبية و أساليب اللغة الانجليزية المتنوعة كابناء البلاد ، و أصحاب اللغة ، و رجع إلى الهند و شغل وظيفة كبيرة فى إمارة « بروده » و مكث فيها سبعة أعوام ، ثم استقال منها و أصدر من كلكتا سنة ١٩١١ صحيفة (Comrade) الأسبوعيـة الانجليزية التى نالت إعجاب الانجليز و ادباءهم وحكامهم بأسلوبها الأدبى الرصين و الفكاهة الحلوة —

الإثنان فى بيئة بعيدة عن مهد الاسلام و مركز الثقافة الإسلامية ، و جرى فى عروقهما دم غير عربى و غير إسلامى (١)، و لكن هذا الأمل لم يتحقق إلا فى نادر الأحوال ، و رجع كثير هولاء الشباب المسلمين طليعة الفكر الغربى ، و دعاة

و انتقلت بعد ذلك إلى دهلى ، و أصدر منها صحيفة يومية اردوية سماها (همدرد) و نالت المكانة الرفيعة و القبول العام لصدق لهجتها ، و كتب مقالة مستفيضة فى كومريد طويلة بعنوان (Choice of the Turks) « إختيار الاتراك » إنتقد فيها سياسة الحلفاء و الانجليز بصفة خاصة ، تعتبر من أقوى المقالات التى كتبت فى الهند ، أثارت غضب الحكومة الانجليزية فاعتقلته سنة ١٩١٤ و بقى مدة الحرب العالمية ١٩١٤ - ١٩١٨ حفظ فيها القرآن و درس الاسلام دراسة عميقة و أطلق فى آخر سنة ١٩١٩ م و أسس الجامعة الملية الاسلامية فى سنة ١٩٢٠م و اعتقل مرة ثانية بتهمة إثارة الجيش ضد الحكومة و حكم عليه فى كراتشى بسجن عامين و أطلق فى آخر سنة ١٩٢٢ و رأس حفلة المؤتمر الوطنى العام (Indian National Congress.) فى كوكنادا فى جنوب الهند سنة ١٩٢٣ ، و اعتزل المؤتمر سنة ١٩٢٩م وحضر مؤتمر المائدة المستديرة سنة ١٩٣٠م وخطب فيها خطبة عظيمة ، ومات فى يوم ٤ من يناير سنة ١٩٣١ ، و نقل جثمانه إلى القدس حيث دفن فى المسجد الأقصى فى احتفال عظيم وجنازة مشيعة تشييعاً عظيما ، ورثاه كبار السياسيين فى الأقطار الاسلامية و الهند ، و اعترفوا بعصاميته و عبقريته الأدبية ، و شجاعته السياسية وحميته الاسلامية ، و من الأقوال المأثورة للمؤرخ الانجليزى الشهير (H. G. Wells) إن محمد على جمع بين قلب نابليون ، و قلم ميكالى ، و لسان برك .

١ - كان محمد على من سلالة هندية فى شمال الهند الغربى ، و محمد إقبال أشار إلى أصله الهندى البرهمى كثيراً ، فيقول فى بيت يعاتب فيه شابا ينتمى إلى أهل البيت قد تأثر بالفلسفة تأثيراً عميقاً و مال إلى الالحاد « أنت تنتمى إلى سيد بنى هاشم فى نسلك ، أما أنا — المؤمن بالاسلام و بمحمد صلى الله عليه وسلم إيمانا لا يعتريه شك — فان طينتى هندية ، و انا انتمى فى نسبى إلى سومنات — معبد الوثنيين القديم — و كان آبائى من عباد اللات و مناة » (ضرب كليم)

متحمسين إلى تقليد الحضارة الغربيـــة و قيمها و مفاهيمها و تصوراتهـا .

صدى أفـــكار

المستشرقين فى مصر : بل رجع كثير منهم متشبعين بروح الغرب يتنفسون برئة الغرب ، و يفكرون بعقله ، و يرددون — فى بلدهم — صدى أساتذتهم المستشرقين ، و ينشرون أفكارهم و نظرياتهم فى إيمان عميق ، و حماسة زائدة ، فلا يقرأ انسان لعالم مستشرق فى الغرب بحثـــاً و لا يعرف له نظرية إلا و يجد أديباً أو مؤلفاً فى مصر يتبنى هذه النظرية بكل إخلاص و يشرحها و يدعو إليهـــا فى كل لباقة و بلاغة ، مثل بشرية القرآن ، و فصل الدين عن السياسة ، و أن الاسلام دين لا دولة ، و الدعوة إلى العلمانية ، و الشك فى مصادر العربية الأولى ، و الشك فى قيمـــة الحديث العلمية و انكار مكانته و حجيته و مكانة السنـــة فى الاسلام ، و الدعوة إلى تحرير المرأة و مساواتها بالرجل و إلى السفور ، وكون الفقه الاسلامى مقتبساً من القانون الرومانى ، و متأثراً به فى روحه و سببه ، و الدعوة إلى إحياء الحضارات السابقة على الاسلام ، و تمجيد العصر الفرعونى ، و التغنى بحضارته و أدبه و أمجاده ، و الدعوة إلى العامية و التأليف فيها ، و اقتباس الحروف اللاتينية و التقنين المدنى العربى على أساس القانون المدنى الغربى ، والدعوة إلى القومية العربية و الاشتراكية المادية — و الشيوعية الماركسية

أحيانا — فى العصر الأخير ، ترى ظلال الفكر الغربى بل التعبير الغربى وارفة ممدودة على العقول العربية و الأقلام العربية مسيطرة عليها كسيطرة الأشجار الكبيرة على الحشائش الصغيرة ، منعكسة فيها . انعكاس الشمس فى المرآة الوضيـــة ، و قد شهد بتغلغل الأفكار الغربيـة فى المجتمعات و الدول الاسلاميـــة عالم مستشرق عرف الشرق الاسلامى ، و عرف تياراته الفكرية معرفة دقيقة ، يقول ه ، أ ، ر ، جب فى كتابه « إلى أين يتجه الاسلام » ؟ :

« و إذا أردنا أن نعرف المقيـاس الصحيح للنفوذ الغربى ، ولمدى تغلغل الثقافة الغربية فى الاسلام كان علينا أن ننظر إلى ماوراء المظاهر السطحية ، . . . علينا أن نبحث عن الآراء الجديدة و الحركات المستحدثة التى ابتـكرت بدافع من التأثر بالأساليب الغربية بعد أن تهضم و تصبح جزءاً حقيقياً من كيـان الدولة الاسلامية ، فتتخذ شكلا يلائم ظروفها (١) »

اتجاه حركة التأليف والترجمة

إلى الأدب و الاجتماع : و كان هولاء الأدباء و الكتاب قد أسدوا معروفا كبيراً ، و أحسنوا إلى مجتمعهم و بلادهم و لغتهم لو نقلوا الكتب من اللغات الغربية المؤلفـــة فى أغراض العلوم التجريبية المادية بكل فروعها الكيميائية و الطبعية و الميكانيكية

---

1 — Wither Islam P. 328 — 329

الترجمة ماخوذة من رسالة « فى وكر الهدامين » للدكتور محمد محمد حسنين .

النظرية و التطبيقية ، التى لا تزال المكتبة العربية فقيرة فيها كما فعل الأدباء فى اليابان فحولوها إلى بلاد صناعية تضارع أعظم الدول و الأقطار الأوربية فى العلوم الطبعية و الصناعية ، و كما فعلت دار الترجمة فى حيدر آباد ، ولكن انصرفت عنايتهم و هوايتهم إلى ترجمة كتب الآداب و علم الاجتماع و الفلسفة و التاريخ ، و الروايات و القصص ، و ترجمة كتب كثير من دعاة الالحاد و الثورة و الاضطراب الفكرى فى المجتمع الغربى ، التى ساعدت فى انتشار التبلبل الفكرى و الاضطراب الاجتماعى ، و ضعف شخصية الفكر العربى و الأدب العربى ، و أحدثت اصطراع الأفكار و المثل و مناهج الفكر .

و قد وجد لهذا الاتجاه الأدبى كتاب و أدباء فى مصر لهم قيمتهم الأدبية و انتاج أدبى كبير . و لكن لم يظهر فى مصر و لا فى الشرق العربى نوابغ و عبقريون فى العلوم العملية و فى مجالات الطبيعة و الكيمياء ، و علم الآلات و العلوم الرياضية ، يعترف العالم الغربى بتفوقهم فى هذه العلوم ، و بقيمة بحوثهم و إنتاجهم العلمى ، وينالون إعجاب الأوساط العلمية الكبيرة وتقديرها .

صورة من الحياة الغربية : و وجد فى مصر كتاب و أدباء دعوا دعوة سافرة إلى تقليد الحضارة الغربية ، و اتخاذها مثلا أعلى فى الحضارة و الاجتماع ، و كانت مصر — لبقائها تحت الاحتلال الغربى مدة طويلة ، و بحكم قربها من أوربا و بفقدان الدعوات

الدينية التجديدية المؤسسة على النقد العلمى — تزداد انصباغا بالحضارة الغربية كل يوم ، و تتجه إلى الغرب اتجاهاً مستمراً ، حتى كادت تصبح فى الطبقة المثقفة و الارستقراطية صورة من الحياة الغربية ، و استطاع الدكتور طه حسين فى سنة ١٩٣٨م أن يصور بلده تصويراً غريباً ، و يقول فى كتابه المشهور « مستقبل الثقافة فى مصر » :

« حياتنا المادية أوربية خالصة فى الطبقات الراقية ، و هى فى الطبقات الأخرى تختلف قربا و بعداً بين الحياة الأوربية باختلاف قدرة الأفراد و الجماعات و حظوتهم من الثروة وسعة ذات اليد ، و معنى هذا أن المثل الأعلى للمصرى فى حياته المادية إنما هو المثل الاعلى للأوربى فى حياته المادية (١) »

« و حياتنا المعنوية على اختلاف مظاهرها و ألوانها أوربية خالصة ، نظام الحكم عندنا أوربى خالص ، نقلناه عن الأوربيين نقلا فى غير تحرج و لا تردد ، و إذا عبنا أنفسنا بشئ من هذه الناحية فانما نعيبها بالابطاء فى نقل ما عند الأوربيين من نظم الحكم و أشكال الحياة السياسية (٢) »

« و التعليم عندنا على أى نحو قد أقمنا صروحه ، ووضعنا مناهجه و برامجه منذ القرن الماضى ؟ على النحو الأوربى الخالص ، ما فى ذلك شك و لا نزاع ، نحن نكون أبناءنا فى مدارسنا

١ ـ مستقبل الثقافة فى مصر ص ٣١ ٢ ـ ايضاً ص ٣٢

الأولية و الثانوية و العالية تكويناً أوربياً لا تشوبه شائبة (١) »

و يستخلص من هذا كله النتيجة الآتية ،

« كل هذا يدل على أننا فى هذا العصر الحديث نريد أن نتصل بأوربا إتصالا يزداد قوة من يوم إلى يوم حتى نصبح جزءاً منها لفظاً و معنى و حقيقة و شكلا (٢) »

دعوة طه حسين مصر إلى اعتبار نفسها جزءاً من الغرب :

لقد كان من المتوقع و من المعقول جداً أن مثل الدكتور طه حسين صاحب الشخصية القوية فى الأدب و العلم ، الذى حفظ القرآن فى الصغر ، و درسه فى الكبر و تعلم فى الأزهر ، و نظر فى العلوم والآداب نظرة حرة واسعة ، و رأى شقاء أوربا بحضارتها المادية و فلسفاتها الإلحادية ، و حكوماتها القومية ، و تذمر مفكريها و العلماء الأحرار فيها ، و درس تاريخ العرب و السيرة المحمدية دراسة تذوق و إتقان ، لقد كان من المتوقع والمعقول جداً ، أن يدعو مصر إلى الاستقلال الفكرى و الحضارى ، و تربية شخصيتها الاسلامية العربية ، و النهوض برسالتها العظيمة التى تستطيع أن تحدث انقلابا فى الأوضاع العالمية ، و تمنح مصر مركز الزعامة و القيادة و التوجيه حتى و لو كانت مصر جزءاً من العالم الغربى ، و قطعة من أوربا ، فالرسالات السماوية الانسانية أسمى و أوسع و أبقى من الحضارات ،

١ - ايضاً ص ٣٦ ٢ - ايضاً ص ٣٤

و هى غنية عن الحدود الجغرافية ، و الأدوار التاريخية ، و إذا فعل ذلك ، و قام بهذ الدعوة كان رائد النهضة الفكرية الحقيقية ، و الثورة المصرية المباركة ، و اتفق ذلك مع مواهبه العظيمة كل الاتفاق .

و لكن كان من نتائج تغلغل الثقافة الغربية فى الطبقة المثقفة فى العالم الاسلامى و سيطرتها على التفكير و المشاعر ، ضعف المجتمع الاسلامى الذى نشأ و عاش فيه طه حسين إنه قام يدعو مصر إلى اعتبار نفسها جزءاً من الغرب ، و يجند كل ذكائه و إنشائه و دراسته التاريخية لإثبات أن العقلية المصرية عقلية أوربية أو قريبة قربا شديداً من الأوربية ، و لها اتصال وثيق بالعقلية اليونانية ، و بعيدة كل البعد عن العقلية الشرقية ، و هى منذ قديم الزمان ، منذ العهد الفرعونى لم تتأثر بالطارئ عليها فى أى عصر ، فلم تتغير بالفرس ، و لا بالرومان و لا بالعرب والاسلام ، « إن العقل المصرى منذ عصوره الأولى عقل إن تأثر بشئ فانما يتأثر بالبحر الأبيض المتوسط ، و إن تبادل المنافع على اختلافها فانما يتبادلها مع شعوب البحر الأبيض المتوسط (١) » و يقول : « إن من السخف الذى ليس بعده سخف اعتبار مصر جزءاً من الشرق ، واعتبار العقلية المصرية عقلية شرقية كعقلية الهند و الصين (٢) »

و على هذا الأساس يدعو الدكتور طه حسين المصريين

---

١ - ايضاً ص ٢٢ ٢ - ايضاً ص ٤١

إلى اختيار الحضارة الغربية حضارة لهم ومشاركة الغربيين — أعضاء الأسرة العقلية الواحدة — فى جميع مناهجهم و مقاييسهم و أذواقهم و أحكامهم فيقول :

« . . . أن نسير سيرة الأوربيين و نسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً و لنكون لهم شركاء فى الحضارة ، خيرها و شرها ، حلوها و مرها ، و ما يحب منها و ما يكره و ما يحمد منها و ما يعاب (١) »

« و أن نشعر الأوربى بأننا نرى الأشياء كما يراها ، و نقوم الأشياء كما يقومها ، ونحكم على الأشياء كما يحكم عليها (٢) »

مستوى فكرى نازل : إن هذا المستوى الفكرى ، مستوى التقليد و التطبيق و التشبه و الانسجام بالغرب ، و إن قياس التبعات و الواجبات و الرسالات بمقياس الجغرافية و التاريخ و طبائع الأمم و عقلياتها فى ضوء التاريخ القديم ، مستوى كنا نتوقع من عالم مصرى و أديب مفكر مثل الدكتور طه حسين أن يترفع عليه ، و قد ترفع على ذلك بعض القادة الشرقيين فى أقطار غير إسلامية فصاروا يلهجون بالجامعة الانسانية والنظرة الآفاقية ، و المثل الخلقية و الروحية التى هى فوق الحدود و الثغور و فوق المناطق الحضارية و الثقافية فى العالم القديم أو الجديد ، ويكفرون بالروابط التى توزع الأسرة الانسانية المؤحدة بين الأوطان و

١ - ايضاً ص ٤١ ٢ - ايضاً ص ٤٤

الأجناس و المناطق الحضارية و بين العالم الغربى و العالم الشرقى ، و كان المسلم العربى أحق بهذه الفكرة الواسعة و أحق بأن يتزعم هـذه الدعوة و يقودها فانه نشأ فى ظل « شجرة مباركة زيتونة لا شرقية و لا غربية »

الطبعة الجديدة العربية

للحركة الكمالية التركية : لم تزل الثقافة الأجنبيـة — فى داخل البلاد و خارجها ، و لم تزل الدعوة إلى « التغريب » والفلسفات الغربية المادية التى ترد إلى البلاد من الخارج ، و يتطوع لنشرها و شرحها كبار الأدباء و الكتاب فى البلد ، تعمل عملها الطبيعى فى أذهان الناس و تلتهمها الطبقة الجامعية المثقفة و الشباب الناشئ و الضباط فى الجيش . و كل ذكى و ثائر على الأوضاع الفاسدة السائدة التى لا تطاق ، و تظهر فى هذه الأغراض كتب و مؤلفات يقرؤها الشبان عند المراهقـة الفكرية فيسيغونها و تصبح جزءاً من فكرتهم و عقيدتهم و مطامحهم فى الحياة ، و ينظرون إلى هذه الفلسفات كالطريق الوحيد للنهضة بالبلاد و مجاراة الدول و الأقطار الحرة الراقيـة ، و تعجز المعارف و وسائل التربية و التوجيه و الأدب المقبول عن أن يخلق فى هولاء تفكيراً أسمى و طموحا أبعد من هذه الخطط التقليدية المرسومة المرددة فى كل بلد ، و التى سبق إليها كمال أتاتورك ، و تحققت له الزعامـة فى حركة التغريب ، و تطوير البلاد والمجتمع و العقلية من الأساس

الاسلامى الايمانى إلى الأساس الغربى المادى ، فيحاولون تقليدها و تطبيقها فى بلادهم باختلاف نوع القوميـــة (١) ، و باضافـــة الاشتراكية التى لم تبلغ فى عصر كمال أتاتورك هذا الطور الواضح المتميز القوى ، و لم تكسب هذه السيطرة ، و هـــذا السحر على العقول و الأفكار ، و لم يبق لهذه الطبقة إلا أن تتولى القيادة و تجد فرصة لتطبيق مخططها الفكرى .

جاءت ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢ م و نجحت بطبيعة الحال و رحب بها كل ساخط على الأوضاع الفاسدة و كل محب للبلاد و للنهضة و القوة و الاستقلال ، و عقد بها الناس — على اختلاف طبقاتهم و وجهات نظرهم — آمالا كثيرة مختلفة ، و كان فى إمكانها و استطاعتها أن تعيد إلى مصر مكان الصدارة فى العالم العربى ، الزعيم للاسلام و مكان التوجيه و الثقة و الاحترام فى العالم الاسلامى ، و أن تشق طريقها إلى الأمام ، و أن تنهج لها نهجاً فى الحياة يوافق طبيعة الشعب المصرى المسلم القوى فى إيمانه و فى عاطفته الدينية ، و طبيعة العالم العربى الذى أبى الله أن ينهض و يتحد و يسود إلا بهذا الدين الذى اختاره لزعامتـــه و قيادته ، و يوافق طبيعة العالم الاسلامى الذى لا ينشط و لا يتحمس و لا يرتبط إلا بدعوة دينية ، و يوافق طبيعة العصر الذى ضاق بالقوميات و تخطى — فى سيره الحثيث — العصبيات التى تقوم

١ ـ القومية العربية بدل القومية التركية .

على أساس العنصرية أو اللغـــة أو اللون أو الوطن ، و صار ينظر إلى هذه الروابط و الجامعات كدعوات رجعية جاهلية تمزق الأسرة الانسانية و الوحـــدة البشرية ، و ينتظر من شعب عربى قيادة أوسع نظراً و أكثر « تقدمية » من القوميات ، و كل ينتظر من قادة هذه الثورة الموفقة عقليـــة أوسع ، و صدراً أرحب ، وذكاءاً أكثر عمقاً ، وتخطيطاً أكثر أصالة ، ومطابقة للواقع .

محاولة تطوير المجتمع

المصرى والعربى كلياً : و لكن تحقق سريعاً أن هذه الثورة ليست إلا « الطبعة العربيـــة الجديدة » (مزيدة منقحة) بحركة التغريب والتطوير التى تزعمها كمال فى تركيا ، و أنها فكرة مستقلة ، و فلسفة قائمة بذاتها . و خطة كاملة مصممة تصميما دقيقاً لتطوير المجتمع المصرى — وبواسطته و عن طريقه — المجتمع العربى تطويراً قومياً ماديا اشتراكـــياً ، حتى تصبح مجتمعاً جديداً ، « يستخلص لنفسه علاقات اجتماعية جديدة تقوم عليها قيم أخلاقية جديدة و تعبر عنها ثقافة وطنية جديدة (١) » و ينظر إلى الحرية ، و الاشتراكية ، و الوحدة (٢) ، كأسس الحياة و أهداف النضال و يبحث عن جذور النضـال المصرى « فى التاريخ الفرعونى صانع

---

١ ـ نفس التعبير الذى جاء فى النص الرسمى لميثاق العمل الوطنى الذى قدمه الرئيس جمال عبد الناصر فى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية فى يوم ٣١ مايو ١٩٦٢م أنظر الباب الأول نظرة عامـــة .

٢ ـ ايضاً

الحضارة المصرية و الانسانية الأولى (١) ، و يحدد نضاله للأمة العربية التى تقوم على وحدة اللغة التى تصنع وحدة الفكرة و العقل و وحدة التاريخ التى تصنع وحدة الضمير و الوجدان ، ووحدة الأمل التى تصنع وحدة المستقبل والمصير (٢) ، أما الدين الاسلامى — الذى هو دين العرب إلا من شذ منهم — فينظر إليه كأى دين من الأديان الكثيرة التى تدين بها أمة أو بلاد ، و يضعها جميعاً فى صعيد واحد ، و مستوى واحد ، و يسمح لها بالبقاء و يعترف بها — جميعاً — بالشرف و التأثير « إن حرية العقيدة الدينية يجب أن تكون لها قداستها فى حياتنا الجديدة الحرة ، إن القيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان قادرة على هداية الانسان و على إضاءة حياته بنور الايمان و على منحه طاقات لا حدود لها من أجل الخير و الحق و المحبة (٣) » و يتكلم عن هذه الأديان كأى اشتراكى مادى لا ينظر إلا إلى قيمة الأديان المادية و الثورية و دورها فى التاريخ الانسانى ، و لا يؤمن بالآخرة و الحقائق الغيبية ، و إلى قيمة العقيدة الدينية و الثواب الأخروى « إن رسالات السماء كلها فى جوهرها كانت ثورات انسانية ، استهدفت شرف الانسان و سعادته ، و إن واجب المفكرين الدينيين الأكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر

---

١ ـ الميثاق القومى الباب الثالث .

٢ ـ ايضاً الباب التاسع .

٣ ـ ايضاً ، الباب السابع .

رسالتـــه (١) » و ينظر إلى المجتمع و أعضائه و حقوقهم نظرة لا تتقيد بالتشريعـات الاسلاميـــة و الحدود التى بينها الله تعالى للانسان ، و إنما تقوم على أسس المجتمع الغربى والتفكير العصرى، فالمرأة فى نظره « تتساوى بالرجل و لابد أن تسقط بقايا الأغلال التى تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع أن تشارك بعمل و ايجابية فى صنع الحياة (٢) »

و بصرف النظر عن هذه التفاصيل والشواهد فانه مما لاشك فيه أن الفكرة التى تسيطر على هذا الميثاق و واضعـــه ، و التى دفعت إلى سبكه فى هذا القالب هى الفكرة المادية ، و للانسـان أن يسحب من نص الميثاق كلمة العرب و مصر التى تتردد كثيراً و مايدل على البيئة التى صدر فيها هـذا الميثاق . و ينسبه إلى أى جمهورية علمانية اشتراكية فى الشرق ، وكلها تعترف بحرية العقيدة الدينية و قداستها ، و بتأثير القيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان فى تاريخ الانسان و المدنية .

و قد اتخذ قادة الثورة خطوات حاسمة ايجابية لتطوير المجتمع المصرى و تطوير العقليـــة المصرية — كمرحلة إلى تطوير العقليـــة العربية — فشجعوا على الإشادة بالقومية العربية كديانة وعقيدة ، و جعلوا الأدباء و الكتاب يتغنون بها ، كالهدف الأسمى ، ويتغنون بأمجاد العهد الفرعونى ، و الدعوة إلى إحيائها ، و الفرعونيـــة

---

١ ـ ايضاً ، الباب السابع

٢ ـ ايضاً ، الباب السابع

كقومية و حضارة و تراث ، و هتف الهاتفون « نحن أبناء العرب و الفراعنة » و لم تعد كلمة « فرعون » تثير فى النفوس الكراهيـــة و الاحتقار ، و معانى اللعنة و النار ، التى ألحقها به القرآن ، و آمن بهـا المؤمنون فى كل مكان و زمان ، و أصبح العرب و العروبة تشارك الله فى العزة و الكرامة ، فيقول القائلون « العزة لله و للعرب » و يرحبون بكل من يغلو فى ذلك ويبالغ و لو وصل إلى درجة الكفر ، و خرج من الاسلام ، ويشجعون على ذلك بالجوائز و الصلات و أنواع التحبيذ وأساليب التحسين ، و أرخوا العنان للكتاب والصحفيين يسترسلون فى ذلك ماشاؤا . و سمحوا للصحف أن تستهزئ بالدين و شعائره و مقدساته ، تنتهك الحرمات و تنشر فى المجتمع الخلاعة و الاستهتار و الميوعة ، و لم يزدها التأميم إلا خبالا و إسرافا فى نشر الصور العارية الخليعة ، و الروايات الماجنـــة و القصص الغرامية ، و أخبار الحوادث المثيرة للغريزة الجنسية و الاجرام ، حتى يتطور المجتمع و تتطور العقلية و تأخذ لونها المادى ، و طابعها الاشتراكى .

و اتخذوا لتطوير المجتمع خطوات ايجابية أخرى ، من تطوير الأزهر ، وإلغاء المحاكم الشرعية ، والقضاء الشرعى ، والوقف الشرعى ومن التعليم المختلط والعناية الزائدة بالبرامج الثقافية ، والرقص والغناء .

..و تأثير الثورة المصرية

وقيادتها فى العالم العربى : و أصبح الشباب العرب ، و كل ذى

طموح ممن تمنى مجد العرب و تمنى لهم كيانا و دولة قوية موحدة تقوم فى الشرق الأوسط يتخذ « الجمهورية العربيـة المتحدة » مثلا أعلى و يدين بحبها و يعتبرها انتفاضة الروح العربية تعيد إلى العرب كـرامتهم ، و مجدهم الغابر و سيادتهم المسلوبة ، و لا غرابة فى ذلك ، و لا مايستحق اللوم والعذل ، فالانسـان مفطور على حب المجد و الغلبة و القوة . و للشباب العرب كل حق فى أن ينشدوا المجد ، و يريدوا القوة . و يعضوا على الوحدة بالنواجـذ ، و لكن — مع الأسف الشديد — قداقترنت بالثورة المصرية وفلسفتها فى العهـد الأخير معانى و حوادث و تصرفات ، و توجيهـات تضعف قيمة الاسلام و تقطع رابطـة هولاء العرب و قادتها عن إخوانهم فى العالم الاسلامى ، و تنشئ فيهم المبالغـة فى تقديس القومية العربية . و التعصب لها . و الايمان بها كفكرة كاملة و ديانة لها مفهومها العقائدى ، و قد بدأ الالحاد ينتشر بسرعـة غريبة فى الشباب المثقف فى العواصم العربية و تبدر من المنحمسين منهم كلمات يخاف منها على صاحبها الكفر و المروق من الدين ، و أصبحوا لاينظرون إلى الرسول الأعظم — صلى الله عليه وسلم — كمنقذ للعرب ، و مصدر الحياة الجديدة و الكرامة و الشرف و الخلود لهـذا الشعب العظيم ، و يرجعون إلى المـاضى السحيق و يحيون أمجاده و حضارته . و يغضبون للجاهليـة إذا ذمت و تأخذهم حمية الجـاهلية .

طليعة ردة فكرية : إنا نذير شر خطير . و طليعة ردة فكرية و ثقافية و دينية لا يتدارك كسرها و لا يجبر كسرها أعظم مجد ، و أقوى دولة . و أكبر نهضة ، و أهول قوة ، إنها خسارة ليست فوقها خسارة . إنها طريق إلى الخزى و العار ، و التشتت و الفرقة . و الهزيمة و الإخفاق بعد الإخفاق ، و الخيبة إثر الخيبة فى الدنيا ، و لعذاب الآخرة أخزى لو كانوا يعلمون ، و يصدق عليهم قوله تعالى ، « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا . و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه . فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة و زنا (١) »

الأقطار الاسلامية المتحررة حديثاً فى طريق « التغريب » :

و أخاف أن تكون هذه قصة القادة المتجددين الثوريين ، و قصة كثير من الأقطار الشرقية التى تحررت و نالت استقلالها فى مدة قريبة ، يظهر أن زعماءها و ولاة الأمور فيها قد صمموا على تطبيق الفلسفة الفكرية الغربية — بشعبها الاقتصادية و السياسية و الثقافية — و فلسفة القومية المادية فى بلدهم الاسلامى ، فهم فى حرب دائمة دامية مع الطبيعة الاسلامية العميقة الجذور الممتدة العروق . و فى صراع مع الجهاز الاجتماعى والعلمى و الخلقى ، الذى فيه الخير الكثير والقوة التى

---

١ ـ الكهف

ترهب و يحسب لها الحساب ، و يمكن أن نفس و تستغل لصالح الأمة و البلاد ، و في صراع مع المعنويات التي تنبت و ترعرع في نفوس أفراد هذه الأمة و أجيالها ، بجهود جبارة و دماء زكية نقية ، و إخلاص ليس له نظير ، و على حساب الإيمان — بالله و بالرسول و بالغيب — الذي لا يصنع في المصانع ، و لا يوزن بالخطب الرنانة ، و لا يخلفه إلا تأثير الرسل و شخصيتهم القوية ، و جهود الدعاة المخلصين من الطراز الأول ، و الذي إذا فقد من الأمة لا يعود بسهولة ، و لا يملأ فراغه شعور قومي ، أو وعي سياسي أو تقدم في المعرفة و الثقافة ، و الذي صنع المعجزات في القديم ، و حليق بأن يصنعها في كل وقت ، و على حساب العاطفة الدينية التي يرجع إليها الفضل في الفتوح و الانتصارات القومية و السياسية ، و تجلت قوتها في معركة القناة ، و تحرير الجزائر ، و تكوين دولة على أساس الاسلام و القومية الاسلامية في شبه قارة الهند (١) لا يحلم بها في عصر السياسة الوطنية و العلمانية .

عملية هدم و إزالة أنقاض : و هكذا تغرز شجرة الحضارة الغربية و الفلسفة الغربية التي ساهم في نشأتها و سموقها مناخ خاص ، و سقي خاص ، و غذاء خاص ، و قد توفرت هذه العوامل كلها في الأراضي الأوربية ، تنقل هذه الشجرة — بعد ما كبرت و ترعرت — إلى الأرض الاسلامية فتغرز فيها و تنصب بقوة ،

١ ـ و هي دولة باكستان .

و يهيأ لها الجو ، و يحفر لها الأرض حفراً عميقاً ، و يقوم الحريصون على نصبها فى البلد الاسلامى بعملية الهدم الواسعة وإزالة الأنقاض الفكرية و الاجتماعية — كما يسمونها — من حولها ، و تستغرق هذه العملية الهدامة جهوداً و طاقات و أوقاتاً كانت تعود على الأمة و على البلاد بنفع كبير ، لو وجهت إلى عملية إيجابية بناءة ، و إلى إثارة القوى الكامنة فى نفوس رجال هذا الشعب الاسلامى عن طريق الايمان والدعوة الدينية ، والاصلاح الخلقى .

رجعية التقدميين : وقد يلجأ هؤلاء المتجددون فى سبيل التجديد إلى بعض الفلسفات و النظم و الروابط ، التى فقدت قيمتها و مكانتها فى المجتمع الأوربى من زمان ، و أصبحت تعتبر من الشعارات الرجعية و من التجارب القديمة التى لجأ إليها القادة فى أوربا فى ظروف خاصة ، و فى وقت محدود ، ثم استغنوا عنها بما رأوا من أضرارها و جناياتها و تركوها إلى فلسفة أو فكرة أفضل منها و أوسع ، و خير مثال لذلك « القومية » التى تخلت عنها أوربا تقريباً ويعض عليها بعض القيادات فى الشرق الاسلامى بالنواجذ ، و ترى فيها الأسلوب الأخير من التفكير ، و آخر ما وصل إليه العقل البشرى من وسائل التنظيم و التخطيط مع أنها من بقايا عصر البداوة والحياة القبلية المحدودة فى صورة موسعة ، و طمر بال خلفه الأوربيون ، و من العوامل الهدامة التى فرقت

المجتمع البشرى و وزعت الجيل الانسانى على نفسه .

تقليد دعاة التجديد : إن هذه المحاولة المخلصة الملحفة لتطبيق تجارب الحياة الأوربية فى بلد إسلامى يبرهن على أن قادة هذه البلاد — و إن دوت أسماؤهم فى العالم و قادوا الجماهير الكثيرة — لا يزالون — رغم ثقافتهم العصرية الواسعة — فى دور الطفولة العقلية التى يكثر فيها التقليد و المحاكاة و السذاجة المتواضعة لأساتذتهم الغربيين ، و أن شخصياتهم مجردة عن كل ابتكار و عن القدرة على الانتاج الأصيل و الإبداع . و عن التفكير الحر ، و إنهم فضلا عن جهلهم أو تجاهلهم لطبيعة الشعوب التى يحكمونها ، و لمواهبها و طاقاتها لا يسايرون الفكر الأوربى فى تقدمه و أطواره ، و لا يعرفون ما يجيش به المجتمع الأوربى من قلق و تذمر ، و بحث عن الايمان و الروحانية .

صراع بين الحكومات

و الشعوب : إنهم فى بلاء و شقاء من هذه الشعوب التى لا يسهل عليها التخلى من المبادئ الدينية ، و من ثروتها الايمانية و من تراثها الغنى ، و الانقطاع عن منابع الحياة و القوة التى تكمن فى مصادرها الدينية . و أدبها الاسلامى ، و تاريخ الاصلاح و التجديد ، فهم فى عملية هدم واسعة الأكناف ، طويلة المدى ، متشعبة من جهات كثيرة ، و الشعوب الاسلامية — التى وقعت تحت حكمهم و قيادتهم — فى بلاء و شقاء من هولاء القادة .

هم يحاربون طبيعتها و يقودونها بتافهات و شعارات لا تسيغها هذه الشعوب و لا تنشط لها ، و لا تستطيع أن تحبب إليها الموت في الفداء ، و تهون عليها بذل النفوس و الأموال و الهجرة من الأوطان ، و تتغلب على الشهوات و الأنانية الفردية ، و قد عرف هؤلاء القادة قيمة هذه الطاقات و الشعارات في إثارة الحمية ، و إشعال الحماسة في نفوس الجماهير فهم يلجئون دائماً أيام الجد و المعارك الدموية الحاسمة إلى الطاقات الدينية و الشعارات القديمة من الجهاد في سبيل الاسلام والشهادة في سبيل الله حتى إذا وضعت الحرب أوزارها ، و تسلموا مفاتيح البلاد ، عادوا إلى هتافاتهم ، و شعاراتهم القومية و الزمنية ، و يفترضون أنهم يحكمون شعوبا ليست لها ديانة تحبها و تقدسها و تستميت في سبيلها ، و ليست لها عاطفة دينية تحتاج إلى التربية و الاستثمار .

إهمال طاقات وكنوز مخبوءة : و هكذا تضيع طاقات هذه الشعوب و مواهبها ، و إمكانياتها التي لو استثمرت و قدرت حق التقدير ، و كان القادة « واقعيين » أكثر منهم « خياليين » لفعلت الأعاجيب ، و كانت قوة يحسب لها الحساب الكبير في ميزان القوى و في ميزان « المعسكرات » و لا سبب في ذلك إلا ضيق تفكير هؤلاء القادة ، و تقليد هذه الحضارة ، و التصميم على تطبيقها في بلدهم بحذافيرها ، و هذا بتأثير الثقافة الأجنبية التي تلقوها في الخارج ، أو خضعوا لها و هضموها في داخل بلادهم .

خضوع قادة البلاد الاسلامية
للحضارة الغربية و قيمها : و يعجبنى فى ذلك ما قرأته حديثاً لكاتبة أمريكيـــة فاضلة اهتدت إلى الاسلام قريباً ، و هى تصف هذه الطبقة الحاكمة ، و قادة البلاد الاسلامية و خضوعها للثقافية الغربية وتقديسها الزائد للحضارة الأوربية ، تقول الفاضلة مريم جميلة (Margaret Marcus) سابقاً ، فى كتابها الجديد - (Islam Versus the West).

إن الحضارة الغربية بقوتها الاقتصادية و السياسية الفائقة ، استطاعت أن تبسط نفوذها على العالم كلـــه ، و لما استطاعت الشعوب الآسوية و الأفريقية أخيراً أن تنتصر فى صراعها للحرية السياسية ، و تحررت من النير الأجنبى ، كانت حضارتها المحليـــة قد تحطمت قديماً ، إن قادة هذه الشعوب من غير استثناء تلقوا ثقافتهم فى معاهـــد أوربا و أمريكا ، و كانت هـــذه المعاهد و أساتذتها قد علموهم أن ينظروا إلى تراثهم الثقافى القومى بنظر الاحتقار و الازدراء ، و كانوا قـــد خضعوا عقلياً لفلسفـــات الحضارة المادية .

و هكذا فان قادة آسيا و أفريقيا متفقون مع القادة الأوربيين و الأميريكيين على أن الهدف الأسمى ، و المثل الأعلى للمجتمع البشرى هو تقدمه عن طريق الصناعات الثقيلـــة ، و رفع مستوى الحياة المادية ، و توسيع القوة الاقتصادية و السياسية ،

و هنا لا ينبغى لنا أن نخلط بين أساليب الاسلام لتقرير العدالة الاجتماعية بالأساليب الغربية للوصول إلى هذا الغرض ، الاسلام ينظر إلى الرخاء المادى كوسيلة . و بالعكس فان الغرب ينظر إليه كغاية .

لا عجب إذا كان الزعماء الآسيويون و الأمريقيون معجبين كل الإعجاب بأساليب حكم الاستبداد الجماعى السائدة فى أوربا وأمريكا، إنهم فى إعجابهم الشديد بما وصلت إليه الصين الشيوعية من التقدم و بما حازته من شرف و مكانة يحرصون أشد الحرص على تطبيق النظم الاقتصادية و السياسية الغربية فى بلادهم ، أما مادفعت الصين من ثمن باهظ لتوسعها السياسى و الاقتصادى ، و كان ذلك الثمن شقاء ملايين من أفراد الشعب الصينى ، و تحطم حياتهم ، فلا يهمهم فى قليل و لا كثير ، لأن مبدأهم « إن الغاية تبرر الواسطة »

قد يبدو لبعض الناس أن النبوغ و اختلاف الألوان الذى كان يوجد فى ثقافات العالم إذا ضعف فانه سينتهى بالشعوب إلى وحدة أقوى و انسجام أكثر فى الناس ، و لكننا شاهدنا بالعكس أن مبدأ هذه الحضارة الأساسى — الذى ظل يسيطر على جميع اتجاهاتها و تصرفاتها — هو الثورة على جميع القيم الروحية و الدينية ، و لما كان هذا الاتجاه ، و هذا المبدأ هما المسيطرين على العالم المعاصر ، لذلك نواجه اليوم من الكراهة الشديدة ، و الحروب الدامية ، و الثورات السفاكة للدماء ما لم نواجهه قبل هذا

اليوم فى التاريخ ، و قد فقد الشعور بالمسئولية فى العلاقات الدولية، فالممثلون لأممهم فى جلسات الأمم المتحدة لا يتورعون أبداً عن الكذب ، و هم يحرفون الحقائق لمصلحتهم القومية الخاصة من غير أن يجدوا وخزاً أو تأنيباً من الضمير ، لأن المبدأ الذى يؤمنون به هو أن كل عمل يخدم مصلحتهم القومية — و لو كان ذلك على حساب البلاد الأخرى — لا يعتبر خطأ أو جريمة ، إن هؤلاء الممثلين فى الأمم المتحدة لا يصوتون على أساس أن القضية حق وصواب ، إنما يصوتون لأن ذلك فى مصلحة شعبهم أو بلادهم فحسب.

إن جناية قادة الأقطار الاسلامية ليست أقل من أى واحد فى بلد آخر إنهم انخدعوا أيضاً ، بفلسفات المادية الغربية ، إن بعضهم يتحدث بالكلمات المعسولة الرنانة عن الحاجة إلى تطبيق الاسلام مع روح العصر الحاضر ، و للوصول إلى هذا الغرض هم يدعون إلى الفصل بين تعليمات القرآن الاجتماعية و بين تعليماته الروحية ، ويقولون إن المادة الأولى يعنى تعليمات القرآن الاجتماعية كانت ظل ما كانت عليه الجزيرة العربية فى القرن السابع المسيحى من أحوال اجتماعية و صورتها ، فيجب أن ترفض على أساس أنها لا تلائم قضايا اليوم التى تشغل الفكر ، و يقرر أن تعليمات القرآن الروحية هى الحقيقة الخالدة ، إنهم يعارضون حقيقة راهنة و هى أن الاسلام منهج الحياة الكامل المنسجم و أنه كل لا يتجزأ و أنه يفوق جميع المناهج التى ابتكرها الغرب إلى هذا اليوم ، إن

رفض أى جزء من هذا المجموع يحطم المجموع (١) »

الموقف الثالث : إذن فما هو الموقف الثالث ، و ما هو الموقف العادل الذى يجب أن يقفه العالم الاسلامى تجاه هذه الحضارة الغربية ؟

إنه لا يمكن تحديد موقف العالم الاسلامى تجاه الحضارة الغربية حتى نعرف طبيعة الأمة الاسلامية ، و مركزها فى هذا العالم ، ثم نعرف موقفها من هذه الحياة التى تصوغ الحضارات ، و تشكل المجتمعات و المدنيات .

مركز الأمة الاسلامية

و رسالتها : إن الأمة الاسلامية هى صاحبة الرسالة الدينية الأخيرة ، وهذه الرسالة هى التى تسيطر — و يجب أن تسيطر — على جميع مواقفها ، و تصرفاتها ، مركزها مركز القيادة و التوجيه ، و الحسبة على العالم ، و القرآن يعلن بقوة و صراحة « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر ، و تؤمنون بالله » و يقول « و كذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيداً » « ليكون الرسول شهيداً عليكم و تكونوا شهداء على الناس » فلا يجوز أن يكون مكان هذه الأمة فى مؤخر الركب ، و فى صف التلاميذ و الحاشية ، و أن تعيش على هامش الأمم و ترضى — من القيادة و التوجيه ، و الأمر و النهى ، و الخلق و الابداع — بالتقليد

1 — Islam Versus the West P. 25 — 28

و التطبيق ، و الخضوع و الاطاعة . فلا يكون موقفها الصحيح إلا موقف الحر الكريم ، القوى الإرادة ، المستقل التفكير ، الذى يأخذ — إذا اضطر و احتاج — من حوله بارادة واختيار ما يطابقه و يلائمه ، و ما لا يرزؤه فى شخصيته و تفوقه و امتيازه ، و ثقته بنفسه و مركزه ، و ينبذ ما لا يلائمه و يضعف شخصيته و مركزه و يفقده امتيازه و يدمجه فى غيره . و لذلك نهيت هذه الأمة عن التشبه بقوم فى شعائرهم وشاراتهم (١)

و هى أمة ذات هدف معين فى الحياة ، و رسالة كاملة فى العالم ، و حضارتها و ثقافتها ، و كفاحها و إنتاجها ، و كل ما يتصل بها من حركة و نشاط خاضع لعقيدتها و غاياتها و رسالتها فلا قيمة عندها لفلسفة تقول « العلم للعلم » و « القوة للقوة » و « الاكتشاف للاكتشاف » و كذلك ليس من مهمتها بسط السيطرة على الانسان أو على الأكوان ، و تسخير الطاقات البشرية ، أو القوى الطبيعية و الفلكية لإثبات قوتها أو تقرير

---

١ ـ قال العلامة الحسين بن محمد بن عبدالله الطيبي (م ٧٤٣ ﻫ) فى كتابه الكاشف عن حقائق السنن المحمدية (شرح مشكاة المصابيح) فى شرح حديث « من تشبه بقوم فهو منهم » الذى أخرجه أحمد و أبو داؤد « هذا عام فى الخلق و الخلق و الشعار ، و لما كان الشعار أظهر فى التشبه ذكر فى هذا الباب » قال العلامة نور الدين على بن سلطان محمد الهروى المعروف بملا على القارى (م ١٠١٤) فى المرقاة « قلت بل الشعار هو المراد بالتشبه لاغير ، فان الخلق الصورى لا يتصور فيه التشبه ، و الخلق المعنوى لا يقال فيه التشبه بل هو التخلق (ص ٤٣١ ج ٤)

فتوحها المادية و العلمية ، فان ذلك عندها ضرب من العبث ، ونوع من الأنانيـــة المتضخمة ، و القرآن يتلو عليهـا و يضبط اتجاهاتهـا و طموحها بقوله « تلك الدار الآخرة نجعلهـا للذين لا يريدون علواً فى الأرض و لافساداً ، و العاقبة للمتقين (١) »

المؤمن القوى العليم

الصـالح المصلـح : إنمـا يسمح لها الاسلام بالكفـاح فى سبيل الحياة و الطبيعـة و العلم — و قد يحث عليـــه — لصالح البشرية و للغايات الكريمـــة إلى حد الضرورة ، و قـــد ضرب الله لها مثلا فى القرآن « بالانسـان القوى العليم الصالح المصلح الذى يسخر القوى الكونيـــة و المادية ، و يملك أعظم مقدار من الأسباب و الوسائل و يوسع فتوحـــه و مغامراته و هو فى كل ذلك ، و فى أوج قوته و سلطته و سيادته ، و تسخيره للقوى و الأسباب مؤمن بربه ، خاضع له ، مؤمن بالآخرة ، ساع لها مقر بضعفـه ، رحيم بالانسانية و بالأمم الضعيفة ، حام للحق ، يستخدم كل قوته و جهوده و مواهبه ، و جميع وسائله و ذخائره لخدمة الانسانية ، و تكوين المجتمع الصالح ، و إعلاء كلـة الله ، و إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، و من عبادة الناس والمادة إلى عبادة الله ، سيرة مثلها سليمان بن داؤد فى عصره ، و مثلها ذوالقرنين فى عصره ، و مثلها الخلفاء الراشدون و الأئمة المهديون

١ — القصص ٨٣ .

فى عصورهم (١) »

الحياة كمرحلة عابرة ووسيلة للآخرة : أما موقفها من هذه الحياة ، فهو موقف من لا يراها الغاية الأسمى و المثل الأعلى ، و سدرة المنتهى فى السعادة و التقدم ، إنما ينظر إليها كمرحلة « عابرة » لا بد من اجتيازها ، وكوسيلة للوصول إلى الفوز الأكبر ، والحياة الدائمة ، و العيشة الراضية ، إن القرآن يقرر — بكل وضوح و قوة — قصر هذه الحياة الدنيا ، و تفاهتها وتضاؤلها فى جنب الآخرة ، فيقول مثلا : « فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل (٢) » و يقول « ما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب و إن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون (٣) » و يقول « إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب و لهو و زينة و تفاخر بينكم ، و تكاثر فى الأموال و الأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ، ثم يهيج فتراه مصفراً ، ثم يكون حطاما ، و فى الآخرة عذاب شديد و مغفرة من الله و رضوان ، و ما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور (٤) »

و يقرر كذلك — فى وضوح و قوة — أنها قنطرة إلى الآخرة ، وفرصة للعمل ، فيقول : « إناجعلنا ما على الأرض زينة

---

١ ـ تفسير سورة الكهف للمؤلف « المسلمون » المجلد السادس عدد ٤

٢ ـ براءة ٣٨ .

٣ ـ العنكبوت ٦٤ .

٤ ـ الحديد ٢٠ .

لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا (١) » و يقول « الذى خلق الموت و الحيـاة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ، و هو العزيز الغفور (٢) » و يقرر أن الآخرة خير و أبقى فيقول « و ما الحيـاة الدنيا إلا لعب و لهو و للدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون (٣) » و يقول « و ما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا و زينتها و ما عند الله خير و أبقى أفلا تعقلون (٤) » و يذم و يشنع على من يؤثر الدنيا — هذه الفانية العارضة السقيمة الناقصة — على الآخرة — الباقية الخالدة ، الواسعة الصافية من الأكدار ، الخالية من الأخطار — فيقول « إن الذين لا يرجون لقاءنا و رضوا بالحيـاة الدنيا و اطمأنوا بها ، و الذين هم عن آياتنـا غافلون ، أولئك مأواهم النار بمـا كانوا يكسبون (٥) » و يقول « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها و هم فيها لايبخسون ، أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النـار ، و حبط ما صنعوا فيها و باطل ما كانوا يعملون (٦) » و يقول « و ويل للكافرين الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ، ويصدون عن سبيل الله و يبغونهـا عوجا ، أولئك فى ضـلال بعيـد (٧) » و يقول « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ، وهم عن الآخرة هم غافلون (٨) »

---

١ ـ الكهف ٧ — ٢ ـ الملك ٢

٣ ـ الأنعام ٣٢ — ٤ ـ القصص ٦١

٥ ـ يونس ٧ ـ ٨ — ٦ ـ هود ١٦

٧ ـ ابراهيم ٣ — ٨ ـ الروم ٧

و يقول : « فأعرض عمن تولى عن ذكرنا و لم يرد إلا الحياة الدنيا ، ذلك مبلغهم من العلم ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله و هو أعلم بمن اهتدى (١) » و يقول « إن هولاء يحبون العاجلة ، و يذرون وراءهم يوما ثقيلا (٢) » و يقول « فأما من طغى و آثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى (٣) »

و يمدح من يجمع بين الدنيا و الآخرة مع إيثار جانب الآخرة على جانب الدنيا ، و معرفة قيمتها و فضلها و الحرص عليها ، فيقول « فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة و ماله فى الآخرة من خلاق ، و منهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة و فى الآخرة حسنة و قنا عذاب النار (٤) » و يقول على لسان نبي الله موسى « و اكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة و فى الآخرة إنا هدنا إليك (٥) » و يمدح خليله إبراهيم عليه الصلاة و السلام فيقول « و آتيناه فى الدنيا حسنة و إنه فى الآخرة لمن الصالحين (٦) » .

و خير ما يمثل موقف المؤمن من هذه الحياة ، و يحدده بدقة ومقدرة ليست فوقها دقة ومقدرة هو الجملة الحكيمة المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إحدى خطبه فى أيام الجمعة ، « إن الدنيا خلقت لكم وإنكم خلقتم للاخرة » فالمسلم يجمع

---

١ ـ النجم ٢٩ ـ ٣٠
٢ ـ الانسان ٢٧
٣ ـ النازعات ٣٧ ـ ٣٨ ـ ٣٩
٤ ـ البقرة ٢٠٠ ـ ٢٠١
٥ ـ الأعراف ١٥٦
٦ ـ النحل ١٢٢

بين الانتفاع بمرافق الحياة و أسباب الدنيا و استخدامها كشئ خلق لأجله و سخر له ، و بين السعى للاخرة و الكفاح لها كغاية خلق لأجلها ، فهو ينظر إلى الدنيا و قواتها و وسائلها كمطية و مركب لا كراكب و متصرف ، و كمملوك و رقيق لا كمالك و سيد ، و وسيلة لا كغاية ، و ينظر إلى الآخرة كغاية ينتهى إليها و وطن يلجأ إليه فيجمع عليه همته ويرهق له قواه و يحث إليها مطيته ، و ذلك مثل النبوة الذى مثله الرسول صلى الله عليه وسلم إذ قال « ما لى و للدنيا و ما أنا و الدنيا إنما أنا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح و تركها (١) » .

و قد تجلت هذه النفسية القرآنية أو النظرة القرآنية إلى الحياة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم و تعاليمه و سلوكه ، و كلامه و عواطفه و أمانيه و دعائه و سره و علنه ، و تجلت كذلك فى حياة الصحابة الذين تربوا و تكونت سيرتهم و عقليتهم فى حضانته و تحت إشرافه و من كان على نهجهم و على غرارهم من التابعين و المؤمنين من هذه الأمة ، بحيث قد صار ذلك طابعاً لحياتهم ، و مزاجا لا ينفك عنهم ، و أصبح من الحقائق التاريخية التى لا يمارى فيها .

و هنا تتعارض الأديان السماوية ، و تعاليم النبوة أو مدرسة النبوة — إن صح التعبير — مع الفلسفات المادية ، و

---

١ ـ رواه أحمد و الترمذى

التفكير المادى الذى يلح على أن هذه الحياة الدنيا هى كل شئ ، و هى المنتهى ، و يبالغ فى تمجيدها و تقديسها و الاحتفاء بها ، والحرص على ترفيهها و تحسينها وتزيينها .

حضارة ثائرة على القيم الدينيـــة و الروحية : و قد كان من المصادفات الأليمة المحزنة ، والمآسى الفاجعة للبشرية أن الحضارة الغربية قد ولدت و ترعرعت فى عصر قد ثار على الدين و أسســه من الايمان بالغيب و غير ذلك ، و فى أمـــة قد ثارت على الذين تزعموا الدين و استغلوه لشهواتهم و أنانياتهم ، و اشتـــد غضبها عليهم لسوء سيرتهم و همجيتهم و وقوفهم فى سبيل التقدم و حرية العقل والعلم ، فترافق نشوء الحضارة و الصناعة و الاتجاه المادى العنيف ، الاتجاه إلى تنظيم الحياة على أسس مادية خالصة ، وقطع صلة المجتمع والبشرية عن فاطرها و مصرف هذا الكون ، و كل ذلك اقتضته سلسلة الأسباب و طبائع الأشياء ، و وضع أوربا الخاص ، فشبت هذه الحضارة و اختمرت و هى المسيطرة على القوى و الأسباب ، قد بلغت الغاية فى التقدم و الصناعة و علوم الطبيعة حتى استطاعت أخيراً أن تعدم المساحات و الأبعاد ، و تجاوز الكرة الهوائية ، إلى غير ذلك من الفتوح فى دائرة العلوم الطبعية و الفلكية (١) »

---

١ ـ منقول من تفسير سورة الكهف للمؤلف المنشور فى « المسلمون » المجلد السادس (١٣٧٧ هـ) عدد ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤

سيطرة « المادية » على قادة

التجديد فى الشرق الاسلامى : و قد انتقلت هذه النفسية المادية إلى قادة حركات التجديد و بالأصح التغريب فى الشرق الاسلامى و تواصفوا — من عهد كمال إلى عهد جمال — على الافتتان بالتقدم المادى و اتخذوا القوة و الرفاهية إلهاً يقدس و يعبد و يكفر بغيره ، و يضحى على أنصابه بكل القيم الخلقية و الروحية، و ما ليست له قيمة مادية ، و حسب القارئ أن يقرأ خطب هولاء الزعماء القوميين و القادة السياسيين ، و ما يكتبونه بين آونة و أخرى ، و ما يدلون به من تصريحات ، و ما يتخذونه من إجراءات رسمية و خطوات عملية و ما يعاملون به الأحزاب التى تفكر غير هذا التفكير ، و تسير غير هذه السيرة ، و تنتقد هذه الاتجاهات ، و حسبه أن يقرأ مشاريع الحكومة و الخطط المستهدفة و مجالات النشاط و الحركة و الحماسة فى الدوائر الرسمية ، يراها مقتصرة على ترفيه البلاد و تقويتها مادياً ، و رفع مستوى الحياة ، و مجاراة الشعوب التى لا تعرف غير المادة و المحسوسات حقيقة ، و لا تعرف غير القوة إلهاً و لا تعرف غير التقدم المادى و الرفاهية الدنيوية هدفا و غرضاً ، و لا تعرف غير مجموعة الأفراد الذين تربط بينهم — رابطة قومية أو معاهدة سياسية — مجموعة بشرية ، تستحق الاحترام و الاهتمام ، إن هذه هى النفسية التى جرت على العالم الشقاء و البلاء فى كل زمان ،

و هى العقلية الضيقة السقيمة التى حاربتها الأديان ، و جاء يمحوها الاسلام ، و أن احتضان قادة بلد اسلامى لهذه الفكرة والعقيدة المادية الضيقة نكسة عظيمة فى التفكير لاتدل إلا على ضعف الايمان و سوء التربيـــة ، و سقوط الهمة ، و قصر النظر ، و شقاء هذه البلاد أولا ، و شقاء العالم الانسانى ثانياً .

إن الاحتفاظ بالشخصية الاسلامية ومركز هذه الأمة فى العالم ، و معرفة رسالتها و الايمان بقيمتها ، و التأكيد على قيمة الآخرة و مابعد هذه الحياة — من سعادة و شقاء و جنة ونار — والتأكيد على الجانب الخلقى و الروحى من الحياة ، هو الخط الفاصل الذى يشكل الحد الفاصل الرسمى (Line of Demarcation) بين الحضارتين ، حضارة يوافق عليها الاسلام ، و يتحمل مسئوليتها ، و يباركها ، و تتجلى فيها الشخصية و الأصالة و الاتباع ، وحضارة يتبرأ منها الاسلام ، و يخسر فيها المسلمون ، و تتجلى فيهـا العبودية و الرضوخ و الاستسلام ، و العبادة التى لا تعرف إلا تقليـــد البغاوات ، و محاكاة القرود .

محنة ذكاء وقوة إرادة : إن التصميم الحضارى محنـــة ذكاء ، و عصامية و عبقرية ، وقوة إرادة ، و فقه دين ، ليست مجرد عمليـــة نقل و تطبيق ، و تعديل و تحسين ، إن الاسلام قـــد حد حدود الحلال والحرام ، و حرم تخطى هذه الحدود ، و أفسح المجال بينها للتمتع الكريم النزيه ، فى غير إسراف و إجحاف ، و مس بحقوق

الآخرين وحظوظهم ، ومن غير تعرض لخطر الوقوع فى الاثم و الفحشاء و التبذير ، والحياة التى لاتليق بالذكور الرجال ، والكرام الأقوياء ، و هـــذه هى الروح التى تسيطر على أحكام اللباس و الطعام و العشرة و الاجتماع و المتعة و اللذة ، و حث على مراعاة المصالح ، والتجنب من المضار والمفاسد ، و إعداد الممكن المستطاع من وسائل القوة و الدفاع ، و اقتباس الصالح النافع من العلوم و الحكمة ، بشرط أن لايكون ذلك على حساب مقومات الشخصية و الكرامة القومية — الاسلامية — و بشرط أن لاينشئ ذلك فى الأمة شعوراً بالنقص ، وقصورا فى الثقة ، و روح اندفاع سريع متهور إلى تقليد الآخرين ، و التشبع بروحهم ، و إجلال حياتهـــم و تقديسها .

نعومة حرير وصلابة حديد : إنها أساس حضارة تملك نعومـــة الحرير وصلابة الحديد ، نعومـــة الحرير فى مسايرة المقتضيات و الحاجات و الحقائق ، غير مفترضة و لامختلقة ، و غير متخيلة و لامبالغاً فيها ، و صلابة الحديد ، و ثبات الجبال على حدود العقيدة و الأخلاق ، إنها مفتوحة العقل و الضمير ، منشرحـــة الصدر ، متهيأة لاقتباس العلوم النافعة التى نشأت ، و تكونت فى جانب بعيد فى هذا العالم ، واقتباس النظم والأساليب التى لا تمس جوهر الدين و لاتغير وضع الأخلاق .

الإفادة من الغرب ومجالها : وأحلى هذا الفصل الذى يحدد موقف

العالم الاسلامى من حضارة الغرب و ثقافته بقطعة جميلة من كتاب « الطريق إلى مكة » للاستاذ محمد أسد ، فقد بدا فيها الاتزان و الحصافة الفكرية ، و هى تحدد — بلباقة فائقة و مقدرة كبيرة — الخط العادل المتزن الذى يجب أن يسير عليه العالم الاسلامى فى الافادة من الغرب ، و تبنى الوسائل الحديثة ، يقول محمد أسد :

« إن عالمى الاسلام والغرب لم يكونا يوما أقرب أحدهما من الآخر ، كما هما اليوم ، و هذا القرب هو صراع ظاهر و خفى ، ذلك أن أرواح الكثيرين من المسلمين و المسلمات لتتغضن رويداً رويداً تحت تأثير العوامل الثقافية الغربية ، إنهم يتركون أنفسهم ، يبتعدون عن اعتقادهم السابق بأن تحسين مقاييس المعيشة يجب أن لايكون سوى واسطة لتحسين أحاسيس الانسان الروحية ، إنهم يسقطون فى وثنية « التقدم » نفسها التى تردى فيها العالم الغربى بعد أن صغروا الدين إلى مجرد صلصلة رخيمة فى مكان ما من مؤخرة الأحداث ، ولذلك تراهم يصغرون مقاما و لايكبرون ، ذلك أن كل تقليد ثقافى ، بخلاف الخلق و الابداع لابد أن يحقر الأمة و يقلل من شأنها .

أنا لا أعنى أن المسلمين لا يستطيعون أن يفيدوا كثيراً من الغرب ، و بخاصة فى مجال العلوم و الفنون الصناعية ، ذلك أن اكتساب الأفكار والأساليب العلمية ليس فى الحق « تقليداً » وبالتاكيد ليس فى حالة قوم يأمرهم دينهم بطلب العلم فى حيثما يمكن أن يوجد ،

إن العلم لا غربي و لا شرقي ، ذلك أن الاكتشافات العلمية ليست إلا حلقات فى سلسلة لانهاية لها من الجهد العقلى الذى يضم الجنس البشرى بكامله ، إن كل عالم يبنى على الأسس التى يقدمها له أسلافه ، سواء كانوا من بنى أمته أو من أبناء أمة غيرها ، و عملية البناء و الاصلاح و التحسين هذه تستمر و تستمر ، من إنسان إلى إنسان و من عصر إلى عصر ، و من مدنية إلى مدنية ، بحيث أن مايحققه عصر معين أو مدنية معينة من أعمال علمية جليلة لا يمكن مطلقاً أن يقال إنها « تخص » و « تعود إلى » ذلك العصر أو إلى تلك المدنية ، فقد يحدث فى مختلف الأزمنة و العهود أن تسهم أمة ما ، أمضى عزيمة و أشد همة من غيرها ، بنصيب أكبر فى صندوق المعرفة ، و لكن الجميع مع الزمن يشتركون ، و بصورة شرعية صحيحة فى هذه العملية ، لقد جاء حين كانت مدنية المسلمين أقوى و أمضى من مدنية أوربا فنقلت إلى أوربا كثيراً من الاختراعات الصناعية و الفنية ذات الطبيعة الثورية ، وأكثر من هذا : مبادئ « تلك الطريقة العلمية » نفسها التى يرتكز إليها العلم الحديث ، و المدنية الحديثة ، و مع ذلك فان اكتشافات جابر بن حيان الكيمياوية لم تجعل من الكيمياء علماً « عربياً » كذلك لا يمكن أن يقال إن الجبر و علم المثلثات هما علمان « إسلاميان » مع أن الأول منهما بسطه الخوارزمى ، و الثانى البتانى ، وكلا هما كانا مسلمين ، تماما كما لايستطيع أحد أن يتكلم عن نظرية الجاذبية « الانكليزية » مع

أن صاحبها كان انكليزيا ، كل هذه الأعمال العلمية العظيمة هى ملك مشترك بين الجنس البشرى كله ، و إذن فان المسلمين إذا تبنوا كما هو من واجبهم أن يفعلوا ، الطريق والوسائل الحديثة فى العلوم و الفنون الصناعية ، فانهم بذلك لايفعلون أكثر من اتباع غريزة التطور و الارتقاء التى تجعل الناس يفيدون من خبرات غيرهم ، و لكنهم إذا تبنوا — و هم فى غير حاجـــة إلى أن يفعلوا ذلك — أشكال الحياة الغربية و الآداب و العادات و المفاهيم الاجتماعيـة الغربية فانهم لن يفيدوا من ذلك شيئاً ، ذلك أن مايستطيع الغرب أن يقدمه لهم فى هذا المضمار لن يكون أفضل وأسمى مماقدمته لهم ثقافتهم نفسها ، و مما يدلهم عليه دينهم نفسه .

ولوأن المسلمين احتفظوا برباطة جأشهم وارتضوا الرقى وسيلة لا غاية فى ذاتها إذن لما استطاعوا أن يحتفظوا بحريتهم الباطنية فحسب ، بل ربما استطاعوا أيضاً أن يعطوا إنسان الغرب سرطلاوة الحياة الضائع[1]»

الفـــراغ الأكـــبر

والعبقرى المطلوب : إن الفراغ الهائل الأكبر فى العالم الاسلامى هو وجود ذلك العبقرى العصامى الذى يواجـه الحضارة الغربيـــة بشجاعة و إيمان وذكاء ، و يشق له طريقاً خاصاً بين مناهجهـا و مذاهبها ، و بين فضائلها و رذائلهـا ، طريقاً يترفع فيها عن التقليد و المحاكاة و عن التطرف و المغالاة ، غير خاضع فيها للاشكال

---

١ ـ الطريق إلى مكة للاستاذ محمد أسد (ليوبولد سابقاً) ص ٣٧٤ ـ ٣٧٦

و المظاهر ، و المفاهيم السطحية ، متمسكا بالحقائق وأسباب القوة ، و باللباب دون القشور .

العبقرى العصامى الذى يشق له ولبلاده و أمته طريقاً مبتكراً يجمع فيها بين الايمان الذى اختص به الانبياء والرسل والدين الذى أكرمه الله و أمته به عن طريق محمد صلى الله عليه وسلم ، و بين العلم الذى ليس ملك أمة و لابلد و لاعصر ، يأخذ من الدين الدوافع الخيرة التى هى أعظم قوة وأغنى ثروة فى خدمة الانسانية و بناء صرح المدنية ، و الغايات الرشيدة الصالحة التى لايوحيها إلا الدين السماوى و التربية الدينية السليمة ، و يأخذ من الحضارة الغربية الآلات و الوسائل القوية الكثيرة التى أنتجتها و توصلت إليها فى سيرها العلمى الطويل و فى جهادها المتواصل الشاق ، و لم ينتفع بها الغرب لافلاسه فى هذا الايمان وفقره فى هذه الدوافع الخيرة و فى هذه الغايات الصالحة ، بل أصبحت تستخدم فى شقاء الانسانية و تقويض أركان المدنية أو لغايات تافهة لاقيمة لها .

العبقرى العصامى الذى يعامل الحضارة الغربية — بعلومها و نظرياتها و اكتشافاتها و طاقاتها — كمواد خام ، يصوغ منها حضارة قوية عصرية مؤسسة على الايمان والأخلاق والتقوى والرحمة و العدل فى جانب ، وعلى القوة و الانتاج و الرفاهة و حب الابتكار فى جانب آخر ، و لا يعامل الحضارة الغربية كشئ قدتم تكوينه و تركيبه و ختم عليه فلا يوخذ إلابرمته و لايقبل إلا على علاته ،

إنما يأخذها كأجزاء ، يختار منها ما يشاء ، و يركب منها جهازاً يخضع لغاياته وعقيدته ومبادئه ونظام خلقه و مايكلفه به دينه من منهج خاص للحياة ، ونظرة خاصة إلى الدنيا ، وسلوك خاص لبنى النوع ، وسعى خاص للآخرة و جهاد دائم « حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله » جهازاً مؤسسا على الايمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم و أنه المثل الكامل ، والامام الدائم و القائد المطاع و النموذج المتبع و السيد المحبوب ، و الخضوع لشريعته كدستور للحياة ، و أساس للتقنين ، و الدين الوحيد الذى تنال به سعادة الدنيا والآخرة و لا يقبل الله سواه .

العبقرى العصامى الذى يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته و بلاده و ماتنفع عملياً و ماليس عليه طابع غرب أوشرق ، إنما هى علوم تجريبية تطبيقية ، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به فى القرون المظلمة و فى عصر الثورة على الدين ، وفى حالة توتر أعصاب و قلق نفوس ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الالحاد والعداء للدين ومن النتائج الخاطئة ، ويطعمها بالايمان بفاطر الكون و مدبره ، و يستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق و أكثرسعادة للانسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون .

العبقرى العصامى الذى لاينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد ، و إلى نفسه كمقلد و تلميذ دائم ، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق ، وكقرين تفوق فى بعض العلوم المادية و المعاشية فيأخذ منه

مافاته من النجارب ويفيض عليه بدوره ماسعد به من تراث النبوة ، و يعتقد أنه إن كان فى حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً ، فالغرب فى حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً ، و ربما كان مايتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب ، و يحاول أن ينهج — بذكائه و جمعه بين حسنات الغرب و الشرق و قوى الروحانية و المادية — منهجاً جديداً يجدر بالغرب تقديره و تقليده ، ويضيف إلى المدارس الفكرية و المناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية و دراسة و تقليد و اتباع .

هذا هو العبقرى العصامى الذى لايزال مفقوداً فى صفوف القادة و الزعماء فى العالم الاسلامى على كثرتهم و تنوعهم ، و هذا هو العملاق حقاً الذى يبدو فى جانبه القادة المقادون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام .

و إنها أعظم تجربة و أبعدها أثراً ليس فى محيط شعب أو بلد ، و ليس فى محيط العالم الاسلامى فحسب بل فى محيط العالم و فى محيط الانسانية كلها ، و إن التاريخ شاخص ببصره إلى من يقوم بها فى الأقطار الاسلامية و العربية ، ممسك قلمه ليسطر له سطور الثناء و الاجلال و يقلده الزعامة الحقيقية ، و مركز التجديد فى العالم الاسلامى ، و العبقرية و العصامية فى التاريخ الانسانى ؟

الفهرست

الموضوع	الصفحة
كلمة المؤلف	٥
العالم الاسلامى أمام مشكلة الحضارة الغربية	٩
المزيج الغريب	١٠
الموقف الاول السلبى	١١
حكم هذا الموقف طبعياً و شرعياً و نتائجه	١١
مصير الأقطار التى تعيش فى عزلة عن العالم	١٣
التقاليد و العادات لا تستطيع أن تقاوم الحضارة الجديدة	١٦
لا بد من التخطيط و إصلاح الأوضاع	١٧
سبب حدوث الثورات فى العالم الاسلامى و علاجه	١٨
الموقف الثانى موقف الاستسلام و التقليد	١٩
حركة « التغريب » فى تركيا و أسبابها	٢٢
ضياء كوك ألب و فلسفته	٢٤
دور تركيا التقليدى	٢٦
شخصية أتاترك و مأثرته التقليدية	٢٩
تأثير أتاترك فى العالم الاسلامى	٣٢
الصراع بين الشرق و الغرب فى الهند	٣٣

الموضوع	الصفحة
القيادة الدينية و المدرسة القديمة	٣٤
حركة ندوة العلماء	٣٦
قيادة السيد أحمد خان و مدرسته الفكرية	٣٨
جوانب الضعف فى فكرة السيد أحمد خان	٤٤
محصول هذه الحركة و إنتاجها	٤٨
أكبر الإله آبادى ، الشاعر الثائر	٤٩
الحركة الوطنية و مقاطعة البضائع الأجنبية	٥١
محمد إقبال و نقده للحضارة الغربية	٥٤
الحضارة الغربية و الأقطار الاسلامية	٦٢
نقده لدعاة التجديد فى الشرق	٦٢
إيمانه بفضل الحضارة الاسلامية و حيويتها	٦٣
المعمل الاسلامى الجديد	٦٤
العمايـة فى الامتحان	٦٦
أهمية الدور الذى تمثله مصر فى العالم الاسلامى	٦٦
الحاجة إلى قناة جديدة	٦٨
موقف مصر التقليدى الضعيف	٧٠
السيد جمال الدين الأفغانى و انقطاعه إلى السياسية	٧٠
فضل حركة السيد جمال الدين و مدرسته	٧٣

الموضوع	الصفحة
حركة « الإخوان » و الخسارة بفقدانها	٧٤
المتخرجون فى أوربا طلائع الفكر الغربى فى العالم العربى	٧٥
صدى أفكار المستشرقين فى مصر	٧٨
اتجاه حركة التأليف و الترجمة إلى الأدب و الاجتماع	٧٩
صورة من الحياة الغربية	٨٠
دعوة طه حسين مصر إلى اعتبار نفسها جزءاً من الغرب	٨٢
مستوى فكرى نازل	٨٤
الطبعة الجديدة العربية للحركة الكمالية التركية	٨٥
محاولة تطوير المجتمع المصرى و العربى كليا	٨٧
سوء تاثير الثورة المصرية و قيادتها فى العالم العربى	٩٠
طليعة ردة فكرية	٩٢
الأقطار الاسلامية المتحررة حديثاً فى طريق « التغريب »	٩٢
عملية هدم و إزالة أنقاض	٩٣
رجعية التقدميين	٩٤
تقليد دعاة التجديد	٩٥
صراع بين الحكومات و الشعوب	٩٥
إهمال طاقات و كنوز مخبوءة	٩٦
خضوع قادة البلاد الاسلامية للحضارة الغربية و قيمها	٩٧

الموضوع	الصفحـــة
الموقف الثالث	١٠٠
مركز الأمة الاسلامية و رسالتهـا	١٠٠
المؤمن القوى العليم الصالح المصلح	١٠٢
الحيـاة كمرحلة عابرة و وسيلة الآخرة	١٠٣
حضارة ثائرة على القيم الدينية و الروحيـــة	١٠٧
سيطرة « المادية » على قادة التجديد فى الشرق الاسلامى	١٠٨
محنـــة ذكاء و قوة إرادة	١٠٩
نعومة حرير و صلابة حديد	١١٠
الإفادة من الغرب و مجـالها	١١٠
الفراغ الأكـبر و العبقرى المطلوب	١١٣
الفهرست	١١٧